الاسد والساحر وخزانة الملابس



سي . اس . لويس

ترجمة احمد مصطفى احمد

سي . اس . لويس

الاسد والساحر
و
خزانة الملابس

ترجمة احمد مصطفى احمد

أرشفة / سرمد العاني

فريق التوثيق الألكتروني



الاسد والساحر وخزانة الملابس
ترجمة احمد مصطفى احمد تأليف سي ـ اس ـ لويس

الطبعة العربية الاولى
رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ٣٤١ لسنة ١٩٩٢
وزارة الثقافة والاعلام ـ دار ثقافة الاطفال
العراق ـ بغداد بريد ٨ شباط ص.ب ٨٠٤١

سلسلة مكتبتنا
تصدر عن قسم النشر في دار ثقافة الاطفال
المدير العام : فاروق سلوم
سكرتير التحرير : فاروق يوسف

الاسد والساحر وخزانة الملابس

الفصـل الاول

لوسـي تفتـح خزانـة الملابـس



كان هناك اطفال اربعة يدعون بيتر ، سوزان ، ادموند ولوسي. هذه القصة عن شيء حدث لهم عندما أُرسلوا بعيداً عن لندن في اثناء الحرب بسبب الغارات الجوية . لقد ارسلوا الى بيت بروفسور عجوز يعيش في قلب الريف ، على بعد عشرة اميال عن اقرب محطة قطار وميلين عن اقرب دائرة بريد . كان بلا زوجة ويسكن في منزل كبير جداً مع مدبرة منزل ، تدعى السيدة ماكريدس ، وثلاث خادمات. (اسماؤهن آيفي ، مارغريت ، وبيتي ، ولكنهم لا يظهرون في هذه القصة كثيراً) كان هو نفسه عجوزاً هرماً ذا شعر اشيب أشعث يكسو معظم وجهه مثلما يكسو رأسه ، وقد أحبه الاطفال في الحال ، ولكن عندما خرج للقائهم عند واجهة الباب في الليلة الاولى كان مظهره غريباً جداً حتى أن لوسي (وهي اصغرهم سناً) خافت منه قليلاً ، واراد ادموند الذي يكبرها في السن مباشرة) أن يضحك فكان عليه ان يستمر بالتظاهر بأنه يتمخط لكي يخفي ضحكه .

وحالما القوا تحية المساء على البروفسور وصعدوا الى الطابق العلوي في الليلة الاولى ، جاء الولدان الى غرفة البنتين واشتركوا في بحث الموضـــوع .

قال بيتر :

« صفقة رابحة بلا شك . شيء رائع تماماً . فالرجل العجوز سيدعنا نفعل مايحلو لنا . »

قالت سوزان :

« اظن انه عجوز طيب . »

قال ادموند الذى كان متعباً ويتظاهر بعكس ذلك ، وكان هذا يجعله عصبياً دائماً :

« أوه ! كفّوا عن هذا ! لا تتحدثوا بهذا الشكل . »

قالت سوزان :

« اى شكل ؟ على أية حال ، كان عليك ان تكـون في فراشـك الآن . »

قال ادمونو :

« تحاولين التكلّم مثل أمي . من تظنين نفسك حتى تأمرينني بالذهاب الى فراشي ؟ اذهبي انت الى فراشك . »

قالت لوسي :

« أليس من الافضل ان ناوي الى فراشنا جميعنا ؟ سينزعجون لو سمعونا نتحدث هنا . »

قال بيتر :

« لا لن ينزعج أحد ، اقول لكم ان هذا البيت من النوع الـذي لايكترث فيه احد لما نفعل . وعلى أية حال ، فهم لن يسمعونا . المسافة من هنا الى غرفة الطعام تستغرق من الزمن عشـرة دقائـق مشـياً ، ويفصل بينهما عدد من سلالم وممرات . »

وقالت لوسي فجأة :

« ما تلك الضوضاء ؟ » كان البيت اوسع بكثـير مما اعتـادت وبدأ التفكير بتلك الممرات الطويلة وذلك العدد من الابـواب التـي تؤدي الى غرف خالية يوقع في قلبها بعض شعور بالخوف .

قال ادموند :

« ما هو الا طائر يا حمقاء . »

وقال بيتر :

« هي بومة ، هذا مكان رائع للطيور . سأوى الى فراشي الان . أقول ، فلنذهب غدا ونستطلع المكان . ففي مكان مثل هذا يمكنكم العثور على أي شيء . أشاهدتم تلك الجبال والغابات ونحن في طريقنا الى هنا ؟ من الجائز ان يكون هناك نسور . وايائل . وستكون هناك صقـــور . »

قال لوسي :

« وغرائر ! »

قال ادمونو :

« وثعالب ! »

قالت سوزان :

« وارانب ! »

ولكن عندما حل اليوم التالي هطل مطر بلا انقطاع ، كان من الغزارة ما يجعلك اذا نظرت من خلال النافذة الى الخارج لاتستطيع رؤية الجبال ولا الغابات ولا حتى الجدول في الحديقة .

قال ادموند :

« كانت ستمطر حتما ! »

كانوا قد فرغوا توا من تناول الفطور مع البروفسور وصعدوا الى الغرفة التي اعدها لهم في الطابق العلوي ـ غرفة طويلة واطئة السقف لها اربعة نوافذ ، اثنان في كل جانب .

قالت سوزان :

« كف عن الدمدمة ، يا ادموند ، اراهنك بأن الجو سيصحو في غضون ساعة او أكثر بقليل . وفي الوقت نفسه نحن في وضع مريح . فهنا يوجد مذياع ومجموعة من الكتب . »

قال بيتر :

« لا بالنسبة لي . أنا ذاهب لاستكشاف البيت . »

ايد الجميع هذه الفكرة . وهكذا بدأت المغامرات . كان بيتاً من النوع الذي لايبدو لك انك ستصل الى نهايته ، بيتاً فيه اماكن كثيرة غير متوقعة . كانت الابواب القليلة الاولى التي فتحوها تؤدي الى غرف نوم اضافية ، كما توقع الكل ، ولكنهم سرعان ما وجدوا انفسهم في غرفة طويلة جداً مملوءة باللوحات وعثروا فيها على مجموعة دروع ، وبعدها كانت غرفة تغطي جدرانها النباتات ، وفيها قيثارة في زاوية منها ، ثم وصلوا ثلاث درجات هبوطاً بعدها خمس درجات صعوداً ، وبعدها رواق علوي صغير وباب يفضي الى شرفة ، ثم سلسلة غرف يتصل بعضها ببعض وقد حفلت برفوف الكتب ـ التي كان معظمها كتباً قديمة وبعضها أكبر من حجم انجيل كنيسة . بعد فترة قصيرة جدا القوا نظرة داخل غرفة كانت خالية الا من خزانة ملابس كبيرة ، وكانت من طراز الخزائن التي تتصدر بابها مرآة كبيرة . ولم يكن في الغرفة من شيء اخر سوى قنينة زرقاء مسدودة وضعت فوق أفريز النافذة .

قال بيتر :

« لا يوجد شيء ! »

وخرجوا كلهم من الغرفة ـ ماعدا لوسي . لقد تخفت عنهم لانها ظنت ان محاولة فتح باب خزانة الملابس جديرة بأن ينفق المرء

وقته معها ، برغم شعورها الاكيد بأن الباب مقفل . فاذا بالباب ينفتح بسهولة ويا للدهشة ، وتتدحرج منه كرتان من النفتالين الخاص بوقاية الملابس من العث القت نظرة الى الداخل ، فرأت معاطف معلقة ـ معظمها معاطف طويلة من الفرو . لم يعجب لوسي شيء بقدر اعجابها ملمس الفرو ورائحته . خطت من فورها الى داخل الخزانة ودست نفسها بين المعاطف وفركت وجهها بها ، ولانها في الواقع ، تدرك ان قيام المرء بغلق باب أية خزانة على نفسه هو بداخلها حماقة كبرى ، فقد تركت الباب مفتوحا . وسرعان ماخطت خطوات ابعد داخل الخزانة فوجدت هناك صنفاً اخر من المعاطف المعلقة خلف المجموعة الاولى . كان الظلام يلف المكان تماماً وواظبت على مد ذراعيها امامها كي تتلمس طريقها تحسباً من ان يرتطم وجهها بمؤخرة الخزانة . وتقدمت خطوة الى الامام ـ ثم اعقبتها بخطوتين او ثلاثة ـ وهي تتوقع ان تلمس برؤوس اصابعها اشياء مصنوعة من خشب . غير أنها لم تلمس شيئاً من هذا القبيل . وقالت لوسي مع نفسها وهي تواصل توغلها في الخزانة وتزيح عن طريقها مجموعة المعاطف الناعمة :

« لا بد ان تكون هذه خزانة واسعة للغاية ! »

واكتشفت بعدها شيئاً ينسحق تحت قدميها . فساءلت نفسها:

« أهذا مزيد من كرات النفتالين ؟ وانحنت لتتلمسها . الا انه بدلا من ان تحس بملمس الخشب الصقيل القوى بأرضية الخزانة ، لمست مسحوقاً ناعماً وبارداً جداً .

قالت :

« هذا شيء غريب جداً »

وخطت خطوة الى الامام او خطوتين . وبعد برهة قصيرة اكتشفت ان وجهها ويديها لم يعودوا يحتكون بفرو ناعم ابداً ، بل بشيء صلب وخشن ونخز كالدبابيس . هتفت لوسي دهشة :

« عجباً كأنها أغصان اشجار ! »

ثم اذا بها ترى امامها ضوء ، لايبعد بضع بوصات عن الموضع الذي يفترض ان يكون ظهر الخزانة ، بل اتياً من مكان بعيد . وكان يتساقط عليها شيء بارد ورقيق . وبعد لحظة اكتشفت انها تقف وسط غابة في الليل وتحت قدميها ثلج ونثيث ثلج يتطاير في الجو من حولها . »

شعرت لوسي بشيء من الذعر ، الا ّ أنها شعـــرت بفضــول وتلهّف شديدين . والتفتت الى الوراء ، فاذا بها لما تزل تستطيع ان ترى ، بين جذوع اشجار التي تلفها العتمة باب خزانــة الملابـــس المفتوح ، بل انها استطاعت ان تلمح الغرفة الخالية التي غادرتها . (لقد تركت الباب مفتوحا بالطبع ، لانها ادركت اية حماقة ان يحبس ألمرء نفسه في خزانة ملابس) . وكان النهار مايزال هناك . قــالت لوسي مع نفسها :

« استطيع العودة اذا ساءت الامور . »

وبدأت تتقدم الى الامام ، ساحقة بقدميها على الثلج ، قاطعـــة الغابة صوب الضوء الاخر .

وصلته بعد حوالي عشر دقائق فوجدته عمـود مصبــاح . واذ وقفت تنظر اليه ، وهي تتساءل باستغراب عن سبب وجود عمـــود مصباح في وسط غابة ، حائرة لا تدري ماذا تفعل ، اذا بها تسمع وقع خطوات اقدام تتجه نحوها . وسرعان ما خرج من بين الاشجار شخص غريب للغاية الى حيث نور المصباح .

كان طوله اكثر من طول لوسي بقليل ويحمل فوق راسه مظلة بيضاء من الثلج . كان نصفه الاعلى على هيئة انسان ، الا ّ ان ساقية كانتا على هيئة سيقان ماعز (يكسوهما شعر أسود لامع) ولديــه حوافر ماعز بدلا من قدمي انسان . وله ذيل ايضا ، ولم تر لوسي ذلك في بداية الامر لانه كان مرفوعا بعنايــة من فــوق الـذراع التي تمسك بالمظلة لكي لايجرجر على الثلج . وكان يضع لفافـاً احمــر اللون حول عنقه وكان لون جلده احمر ايضا . كان ذا وجه بشوش ، ولحية قصيرة مدببة وشعر مجعد ، وكان ينتأ من الشــعر قرنــان ، واحد في كل جانب من جبهته . وكما قلت كان يمسك باحدى يديــه مظلة : وفي اليد الاخر يحمل بضع رزم ذات لون اسمــر . وقـد بدا بتلك ألرزم والثلج كما لو انه كان يشتري لوازم اعياد الميلاد . كان (فوناً) .

وعندما رأى لوسي أجفل وسقطت منه الرزم وهتف في دهشة :

« ليحفظنـي الـرب ! »

الفون : احد آلهة الحقول والقطعات عند الرومان

الفصـل الثـاني

ماذا وجـدت لوسي هناك



قالت لوسي :

« مســاء الخـــير »

الا ّ ان الفون كان من شدة الانشغال بالتقاط رزمة ماجعلــه لايرد على التحية بادئ الامر . وعندما فرغ من التقاط الرزم ، ردّ عليها باحناءة صغيرة من رأسه ، وقال :

« مساء الخير ، مساء الخير ، معذرة ــ لا اريد ان اكون فضولياً ــ ألست مصيباً في اعتقادي بأنك واحدة من بنات حواء ؟ » .

قالت ، غير فاهمة تماماً ما يقصد :

« اسمي لوسي »

فســال الفــون :

« ولكنك ـ ارجو المغفرة ، انت من يدعونها فتاة ؟ »
قالت لوسي :
« بالطبع أنا فتاة · »
وسـال الفـون :
« أأنت انسانة حقاً ؟ »
قالت لوسي وهي لاتزال حائرة قليلا :
« بالتأكيد أنا انسانة · »
قال الفـون :
« من غير ريب ، من غير ريب ، يا لغبائي ! ولكن لم يسبق لي ان رأيت ابن ادم او بنت حواء · انى مسرور · أعني ··· »
وتوقف عن الكلام كما لو انه كان على وشك ان يقول شيئاً لم يكن يقصده ، بل تذكر في الوقت المناسب ، قال :
« انا مسرور ، مسرور · اسمحي لي بأن اقدم لـك نفسـي · اسمي تيمنس · »
قالت لوسي :
« انا سعيدة جداً بمعرفتك ، يا سيد تيمنس · »
قال السيد تيمنس :
« أتسمحين لي بسؤال ، اه ، يا لوسي يا ابنة حواء ، كيـف جئت الى نارينا ؟ »
قالت لوسـي :
« نارينا ؟ ماذا تكون ؟ »
قـال الفـون :
« هذه ارض نارينا ، حيث نحن الان ، بين ما ينحصر بين عمود الانارة وقصر كير بارافل الكبير على البحر الشرقي · وانت ـ اجئت من الغابات الغربية العذراء ؟ »
قالت لوسـي :
« أنا ـ لقد جئت من خلال خزانة الملابس الموجودة في الغرفـة المهجورة · »
قال السيد تيمنس بصوت حزين :

« آه ! لو انني بذلت جهداً في تعلـم الجغـرافية عنـدما كنـت صغيراً ، لاصبحت بلا ريب على علم بشأن كل تلك البلدان الغريبـة فات الاوان الان · »
قالت لوسي وهي تكاد تضحك :
« ولكنها ليست بلداناً ابداً · انها هناك على بعد خطوات ، على الاقل · لست متأكدة · انما هناك صيف · »
قال تيمنـس :
« بينما هو شتاء في نارينا وهو طويل دائماً وسيبقى كذلـك ، واذا بقينا نتحدث ونحن واقفون في الثلج يا ابنة حواء القـادمة مـن ارض « العم الصغير » البعيدة · حيث الصيف الخالد يسود مدينة « وار دروب » الزاهية ، فقد نصاب بالبـرد · ما رأيـك لو اتيـت وتناولت الشاي معي ؟ »
قالـت لوسـي :
« شكراً جزيلا لك يا سيد تيمنـس ، لكنـي افكر بوجـوب العـودة · »
قال الفـون :
« المكان قريب عند المنعطف ، وهناك نـار متأججـة ـ وخبـز محمص ـ وسمك سردين ـ وكعك · »
قالت لوسـي :
« حسن ، هذا لطف كبير منك ، الا انني لا استطيع المكوث طويلا · »
قال السيد تيمنس :
« اذا مسكت ذراعي ، يا ابنة حواء ، سأتمكن من رفع المظلـة فوق كلينا · هذا هو الطريق · والان ـ هيا · »
وهكذا وجدت لوسي نفسها تمشي خلال الغابة متأبطة ذراع مع هذا المخلوق الغريب كما لو انهما يعرفان احدهما الاخر منذ خلقا ·
وقبل ان يقطعا مسافة بعيدة وصلا الى مكان حيث الارض فيه وعرة تنتشر فيها الصخور ووديان صغيرة صاعدة ووديان صغيـرة نازلة ، وعند سفح واد صغير انعطف السيد تيمنس فجأة باتجـاه مختلف كما لو انه يزعم ان يذهب مباشرة الى صخرة كبيرة للغاية ، الا انه اكتشفت في اللحظة الاخيرة انه يقودها نحو مدخل كهـف ·

وحالما اصبحا في الداخل بهر عينيها لهيب نار الخشب . عندئذ توقف السيد تيمنس والتقط جمرة من الحطب المشتعل بملقط صغير ، واضاء قنديلا . وقال :

« والان لن نتأخر طويلا »

وفي الحال وضع ابريق الشاي فوق النار . ورأت لوسي انه لم يسبق لها ان كانت في مكان جميل مثل هذا من قبل . كان كهفا صغيرا ذا حجارة ضاربة الى الحمرة ، دافئا وفيه سجادة فرشت فوق ارضه وكرسيين صغيرين (قال السيد تيمنس : كرسي لي والثاني من اجل صديق) وطاولة وخزانة للاطباق وادوات طبخ وموقدا على افريزة صورة فون عجوز بلحية رمادية . وفي زاوية باب ظنته لوسي يؤدي الى غرفة نوم السيد تيمنس ، وفوق احد الجدران رف مليء بالكتب كانت لوسي تنظر الى تلك الاشياء في حين كان هو منهمكا في تهيئة آنية الشاي . كان لها عناوين مثل (حياة ورسائل سيلانوس) او (الحوريات وطرائقها او رجالها) ، و (الرهبان وحراس الطرئد) و (دراسة في الاسطورة الشعبية او هل الانسان خرافة ؟) .

قال الفون :

« ها هو ، يا ابنة حواء ! »

كان شايا رائعا حقا . وكانت هناك بيضة بنية اللون ، نصف مسلوقة ، لكل واحد منهما ، تلا سمك سردين وخبز محمص ، ثم خبز وزبدة ، وخبز وعسل ، وكعكة محلاة بالسكر . وبعدما تناولت لوسي كفايتها من الطعام بدأ الفون يتحدث . كانت في جعبته حكايات رائعة عن حياة الغابة ، روى لها عن منتصف الليل وعن الحوريات اللواتي يعشن في الابار وعن الجنيات اللواتي يعشن في الاشجار ويأتين للرقص مع الفونات ، وعن طوابير الصيادين وراء الايل الابيض القادر على تحقيق امنياتك اذا استطعت الامساك به ، وعن الولائم والبحث عن الكنز بصحبة « الاقزام الحمر » في المناجم العميقة والنقوش المطمورة في باطن ارض الغابة ، وحكى لها عن الصيف حين تكتسي الغابات خضرة وعن سيلنوس العجوز على ظهر حماره البدين ، الذي اعتاد المجيء لزيارتهم ، وباخوس(*) نفسه احيانا ، عندئذ تجري جداول

(*) باخوس : اله الخمر عند الرومان .

خمرا بدلا من الماء فتبتهج الغابة كلها وتمرح أسابيع بلا انقطاع واضاف قائلا على نحو حزين :

« حتى مع وجود الشتاء كما هي الحال الان . ولكي يبعد الحزن عن نفسه اخرج مزمارا صغيرا غريبا ، من غيفه فوق خزانة الاطباق ، بدا كما لو انه صنع من القش وبدأ يعزف عليه . وجعل اللحن الذي عزفه رغبة لوسي تريد البكاء والضحك والرقص والذهاب للنوم في وقت واحد . وعندما انتبهت لنفسها كان قد مضى عليها بضع ساعات وقالت :

« اوه ، يا سيد تيمنس ـ انا اسفة لمقاطعتك ، وانا احب هذا اللحن ـ ولكن في الحقيقة ـ يجب ان اعود الى البيت . كنت انوي البقاء دقائق فقط . »

قال الفون :

« لا فائدة الان ، كما تعرفين »

ووضع مزماره جانبا وهز رأسه بحزن شديد ، فقفزت لوسي خائفة وقالت :

« لا فائدة ؟ ما الذي ترمي اليه ؟ يجب ان اعود الى البيت في الحال . سيتساءل اخوتي عما يكون قد حصل لي . »

الا انها بعد لحظات سألت :

« سيد تيمنس ! ما الامر ؟ »

فقد فاضت عينا الفون السوداوان بالدموع التي راحت تجري على خديه وسرعان ما بدأت تجري فوق ارنبة آنفة ، واخيرا غطى وجهه بيديه وصار يقول وينوح .

قالت لوسي بتأثر بالغ :

« سيد تيمنس ! سيد تيمنس ! لا تبك ! لا تبك ! ماذا جرى ؟ أتشعر بوعكة ؟ عزيزي سيد تيمنس ، قل لي ما هي العلة . » الا ان الفون استمر بالنشيج حتى كاد قلبه أن ينفطر . ولم يكف عن النشيج حتى بعد ان دنت منه لوسي وطوقته بذراعيها واعارته منديلها . أخذ المنديل وحسب وراح يستعمله ويعصره بكلتا يديه كلما نقع بالدموع، وكانت لوسي واقفة الى جانبه منقبضة الصدر .

هزته لوسي وصرخت في اذنه قائلة :

« ياسيد تيمنس ! كف عن البكاء · كف عن البكاء في الحال ! كان الاجدر بك وانت فون كبير وعظيم ان تخجل من نفسك · أهناك ما يستحق كل هذا البكاء ؟ »

وقال الفون وهو ينشج :

« أواه – أواه ! أنا أبكي لانني لست الا فونا رديئا · »

قالت لوسي :

« لا اظنك فونا رديئا ابدا ، أنا اراك فونا طيبا جدا ، بل انت اطيب فون قابلته على الاطلاق · »

اجاب السيد تيمنس مقاطعا بحسرة :

« اوه – اوه – ما كنت ستقولين ذلك لو عرفت ، لا ، انا فون رديء · ولا اعتقد ان هناك فونا اسوأ مني منذ بدء الخليقة · »

سألت لوسي :

« ولكن ما الذي اقترفته ؟ »

قال الفون :

« عجبا ·· والدي العجوز ، تلك صورته فوق الموقد ، لم يرتكب شيئا مثل هذا · »

قالت لوسي :

« شيء مثل ماذا ؟ »

قال الفون :

« مثل الذي فعلته انا ، صرت اعمل في خدمة الساحرة البيضاء· هذا هو أنا · انا مأجور اعمل في خدمة الساحرة البيضاء · »

سألت لوسي :

« ومن تكون الساحرة البيضاء هذه ؟ »

قال الفون :

« رباه ! هي التي تخضع نارنيا كلها لنفوذها · وهي التي تجعل نارنيا تعيش في شتاء دائم · شتاء دائم من دون اعياد ميلاد ، فكري بذلك ! »

قالت لوسي :

« يا له من شيء مروع ! ولكن ماذا تعطيك مقابل ذلك ؟ »

قال السيد تيمنس متأوها بشدة :

« ذلك هو اشنع ما في الامر ، أنا اعمل خطافا في خدمتها ، هذه هي حقيقتي · انظري الي يا ابنة حواء · أتصدقين انني فون من النوع

الذي يسعى ليلتقي طفلا برينا مسكينا في الغابة ، طفلا لم يسبق له ان مسني بسوء ، واعقد معه صداقة ، وادعوه الى كهفي ، من اجل ان اهدهده لينام ومن ثم احمله الى الساحرة البيضاء ؟ »

قالت لوسي :

« لا ، أنا على يقين من انك لا تقترف عملا من هذا القبيل · »

قال الفون :

« لكنني اقترفته · »

قالت لوسي باناة الى حد ما (لانها كانت تريد ان تكون صادقة معه وان تتجنب القسوة عليه) :

« حسن ، حسن ، ذلك شيء سيء · ولكنك تبدو من شدة الاسف ما يجعلني على ثقة بأنك لن تفعلها ثانية · »

قال الفون :

« يا ابنة حواء ، هو ليس شيء فعلته وانقضى · بل شيئا افعله الان ، في هذه اللحظة · »

صرخت لوسي وقد شحب لونها :

« ماذا تقصد ؟ »

قال الفون :

« انما انت الطفلة التي عنيتها ، وأنا لدي اوامر من الساحرة البيضاء مفادها انه في اللحظة التي اعثر على ابن ادم او ابنة حواء في الغابة ، يجب علي ان اخطفهما واحملهما اليها · وها انت اول من قابلتها · تظاهرت بصداقتك ودعوتك الى تناول قدح من الشاي معي ، وكنت طوال الوقت انتظر ان تنامي لاذهب واخبرها · »

قالت لوسي :

« اوه ، ولكنك لن تفعلها ياسيد تيمنس ، اليس كذلك ؟ في الواقع انت بالتأكيد غير مجبر على القيام بها · »

قال الفون وقد بدأ في البكاء :

« اذا لم افعلها ، ستكتشف ذلك حتما وتقبض علي وستبتر ذيلي ، وتنشر قروني ، وتنتف لحيتي ، وستسلط علي فلوع حوافري الجميلة عصاها السحرية وتمسخها حوافر صلبة بشعة مثل حوافر حصان مهزول · واذا كانت في حالة غضب شديد ستمسخني حجرا ولن أكون سوى تمثال فون في منزلها المرعب الى ان تعتلي

العروش الاربعة في كير بارافل ـ والله وحده يعرف متى سيحـــدث هذا ، او انه لن يحدث على الاطلاق • »

قالت لوسي :

« انا اسفة جدا يا سيد تيمنس ، ولكنني اتوسل اليك ان تدعني اعود الى البيت • »

قال الفون :

« سأفعل بغير ريب ، يجب ان افعل ذلك بلا شك • وأرى ان يحدث ذلك في الحال • لم اكن اعرف ما هو الانسان قبل ان التقـــي بك • ولن احملك الى الساحرة البيضاء بالتأكيد ، ليــس بعــد ان عرفتك • الا انه يجب علينا ان نهرب من هنا فورا • وسأرشدك الـــى عمود الانارة • واظن انك قادرة من هناك ان تعودي الى « وار دروب » و « العم الصغير » • »

قالت لوسي :

« اقرر بالتأكيد • »

قال السيد تيمنس :

« يجب ان نرحل بحذر وهدوء باقصى قــدر نستطيـــع • ان جواسيسها ينتشرون في كل مكان من الغابة • الى حد ان بعض الاشجار تتجسس لحسابها • »

نهض اثنان وتركا لوازم الشاي فوق المائدة ، وحمل السيـــد تيمنس المظلة فوق رأسه ومد ذراعه للوسي • وغادر الكهف الى العراء المغطى بالثلج • لم تكن رحلة العودة تماثل رحلة الذهاب الى كهف الفون في شيء ، لقد شقا طريقهما قدما باقصى سرعة قدرا عليها ، من دون ان ينبسا بكلمة واحدة ، وحافظ السيد تيمنس على السير في المناطق المعتمة • وبعدما وصلا عمود الانارة استردت لوسي طمأنينتها •

قال السيد تيمنس :

« اتعرفين طريقك من هنا يا ابنة حواء ؟ »

امعنت لوسي النظر بين الاشجار جيدا واستطاعت ان تـــرى هناك في البعد مساحة ضوء صغيرة بدت لها مثل ضوء النهـــار • وقالت :

« أجل ، استطيع ان ارى باب خزانة الملابس • »

قال الفون :

« هيا اسرعي اذن الى المنزل باقصى سرعة تقدرين عليهــا ، و ـ آ ـ أيمكنك ان تغفري لي ما اضمرت ان أفعله ؟ »

قالت لوسي وهي تصافحه بحماس :

« أوه ، بالطبع ، وارجو ان لا تتعرض الى متاعب بسببي • »

قال :

« وداعا ، يا ابنة حواء ، أاستطيع الاحتفاظ بالمنديل ؟ »

قالت لوسي :

« أجل ! »

وركضت نحو البقعة المضيئة باقصى سرعة تستطيع فيهـا ساقيها حملها • والان •• لقد كانت تمسي في اثناء سيرها معاطف بدلا من الاحتكاك باغصان شجر خشنة وداست بقدميها قطـــع حطب جافة بدلا من سحق ثلج ، وفجأة •• وجدت نفسها تقفـــز الى خارج خزانة الملابس الى الغرفة الخالية نفسها حين بدأت منها المغامرة • اغلقت باب خزانة الملابس وراءها باحكام ونظرت حولها ، وهي تلتقط انفاسها بصعوبة • وكانت السماء لا تزال تمطـــر وسمعت اصوات الاخرين في الرواق •

هتفت لوسي :

« أنا هنا ، أنا هنا • لقد عدت ، وانا على مايرام • »

الفصـــل الثـــالث

ادمونـــد وخزانة الملابـــس



اسرعت لوسي في الغرفة الخالية الى الممر ووجدت الثلاثة الاخرون هناك ·

فكررت قولها :

« كل شيء على ما يرام ، لقد عدت · »

سألت سوزان

« ما الذي تتحدثين عنه يا لوسي ؟ »

تساءلت لوسي دهشة :

« عجبا ! ألستم تواقين لمعرفة اين كنت ؟ »

قال بيتر :

« أحقا قد كنت مختفية ؟ « لو » العجوز المسكينة تختفي ولا يلاحظ ذلك احد ! عليك بالاختفاء مدة اطول اذا كنت راغبة بان يبحث الناس عنك · »

قالت لوسي :

« ولكنني قد ابتعدت عن الانظار ساعات وساعات · » وحدق الاخرون بعضهم ببعض ·

ضرب بيتر رأسه بيده وقال :

« معتوهة ! معتوهة تماما · »

وسأل بيتر :

« ماذا تقصدين يا لو ؟ »

اجابت لوسي :

« حدث ذلك عندما دخلت خزانة الملابس بعد الافطار مباشرة ، لقد كنت بعيدة لساعات وساعات ، وشربت شاياً ، وحدثت اشياء كثيرة · »

قالت سوزان :

« لا تكوني حمقاء يالوسي ، لقد خرجنا من تلك الغرفة قبل لحظات وانذاك كنت هناك · »

قال بيتر :

ليست حمقاء على الاطلاق ، انما هي تنسج قصة للدعابة · البس كذلك يا لو ؟ ولماذا لاتفعل ؟ »

قالـت :

« كلا ، يا بيتر ، أنا لا اختلق قصة ، انها ـ انها خزانـــة ملابس سحرية • وفي داخلها غابة ، وتمطر ثلجاً ، وهنــاك فوناً وساحرة واسم الغابة نارينا ، تعالوا وانظروا بانفسكم • »

احتار الاخرون في الامر ، الاّ ان انفعـال لوسـي الشـديد جعلهم يعودون معها الى الغرفة • اندفعـت امامهم وفتحـت بـاب خزانة الملابس بعنف وصاحت :

« والان ! ادخلوا وشاهدوا بانفسكم • »

مدت سوزان رأسها بداخل الخزانة ، مبعدة معاطف الفرو جانبا ، وقالت :

« يا لك من سخيفة ، انما هي خزانة ملابس عادية ، انظري ! هذا جدارها الخلفي • »

بعد ذلك ازاح الجميع المعاطـف جانبا ونظـروا في الداخـل فرأوا ـ ورأت لوسي بنفسها ـ خزانة ملابس عاديـة تماماً • لـم يكن هناك غابة او ثلج ، بـل جدار الخزانة الخلفي مثبتا عليـــه مشاجب • دخل بيتر الخزانة وتحسس مفاصلها المعدنية كي يتأكد من صلابتها ، ثم خرج ليقول :

« عليّ ان اعترف بأنها كانت خدعة طريفة محكمة يا لو • لقد استطعت حقاً ان تخدعينا بها • »

قالت لوسي :

« لكنها لم تكن خدعة ابدا ، بل حقاً وحقيقة • كانت مختلفة تمام الاختلاف قبل لحظة • كانت كما اخبرتكم • صدقوني • »

قال بيتـر :

« كفى يالو ، لقد تماديت • كانت نكتـة كما تريديـن ، الا استطعت حقا ان تخدعينا بها • »

صعد الدم الى وجه لوسي وحاولت ان تقول شيئاً ما ، وهي لاتكاد تعرف ما الذي تحاول ان تقوله ، وانفجرت بالبكاء •

كان مظهرها في الايام القليلة التالية مثيراً للشفقة والرثاء • كان باستطاعتها التخلص من تعاستها في اي وقت تشاء بسهولـة تامة لو أنها حملت نفسها على اخبارهم بأن كل الذي حـدث هـو

محض قصة اخترعتها من اجل المزاح فقط ، الاّ ان لوسي كانـت فتاة صادقة جداً وعلى يقين من انها كانـت على صـواب ، وليـس باستطاعتها ان تغصب نفسها على قول هذا • ان اعتقاد الاخـرين بانّ ماروته لهم كذب ، وكذب سخيـف قد جعلها تعيسة جـداً • لم يقل اخواها الاكبران هذا بقصد الاساءة ، لكن ادموند كان ميالا الى الاغاظة ، واغاظها فعلا بهذه المناسبة • فقد استخـف بلوسـي وسخر منها واستمر يسألها ان كانت اكتشفت بلاداً جديدة اخرى في دواليب المنزل الاخرى • وما زاد الامر سوء ان هذه الايام كـان بحق ان تكون ايام مسرة كبيرة • كان الجو رائقاً وكانوا يقضـون وقتهم خارج المنزل منذ الصباح حتـى مغيب الشمس يسبحـون ، ويصطادون السمـك ، ويتسلقـون الاشجـار ، ويتمدّدون على الحشائش • الاّ ان لوسي لم تستمتع باي من هذا • وهكذا واصلت الامور سيرها حتى اليوم التالي المطير •

عندما تجاوز ذلك النهار منتصفه ولم تكن هناك اية علامـة لتشير بتحسن الطقس ، عزموا على ان يلعبوا لعبة الاختباء • وكان الدور على سوزان بأن تغمض عينيها ، وحالما تفـرق الاخـرون ليختبأوا ، توجهت لوسي نحو خزانة الملابس • لم تكن تقصـد الاختباء في خزانة الملابس ، لانها تدرك ان ذلك سيكون ثانية مدار حديث بين الاخرين عن المسالة البائسة كلها ، وانما كانت تريد ان تلقى عليها نظرة اخرى ، اذ أنها بدأت الان تسأل نفسها ان كانت نارينا والفون حقيقة لاحلماً • كان المنزل واسعاً جداً ومتشعبا وفيه اماكن كثيرة تصلح للاختباء وهذا جعل لوسي تعتقـد بأن لديهـا متسعاً من الوقت يمكنها من القاء نظرة داخل خزانة الملابس ومن ثم الاختباء في مكان ما • وما ان وصلت اليها حتى سمعت وقـع خطوات اتية من خارج الممر ، ولم يكن امامها الاّ ان تقفز الى داخل الخزانة وتوصد الباب وراءها • وفي الحقيقة هي لم تغلقه باحكام لانها تعرف انه من الحمق ان يحبس المرء نفسه داخل خزانة ملابس حتى وان لم تكن خزانة سحرية •

كانت الخطوات التي سمعتها هي خطوات اقدام ادموند ، اذ انه ولج الغرفة ورأى لوسي لحظة توارت داخل خزانة الملابس • وعزم من فوره على دخول الخزانة بنفسه ـ لا لأعتقاده بان الخزانة

مكان ملائم للاختباء وانما لرغبة منه في مضايقة لوسي بشأن بلدها الوهمي . فتح الباب . وفي الداخل كانت المعاطف معلقة كالعادة ، تفوح منها رائحة النفتالين ، وتعم العتمة الى جانب الصمت ، وليس هناك من اثر ينم عن وجود لوسي .

قال ادموند لنفسه :

« تظنني سوزان جئت للامساك بها ، فلزمت الهدوء في المؤخرة . »

فقفز الى داخل الخزانة واغلق الباب وراءه ، ناسيا اية حماقة كبيرة ارتكب بذلك . ثم بدأ يتلمس في الظلام بحثا عن لوسي . توقع ان يعثر عليها في ثوان معدودة فدهش كثيرا حين لم يجد لها اثراً . وعزم على فتح الباب من جديد ليفسح مجالا لقليل من الضوء، كي يدخل الخزانة . الا انه اخفق في العثور على الباب ايضا . ولم يرتح لهذا وصار يتخبط في كل اتجاه حتى انه اخذ ينادي باعلى صوته :

« لوسي ! لو ! أين انت ؟ أنا اعرف انك هنا . »

لم يكن ثمة جواب ولاحظ ادموند ان في صوته نبرة غريبة ـ ليست النبرة التي تتوقعها في خزانة ، ولكنها نبرة من النوع التي يتردد صداها في العراء . ولاحظ ايضاً انه احس ببرد فجأة ، ثم رأى ضوء ..

قال ادموند :

« شكراً لك يا الهي ، لابد ان الباب انفتح من تلقاء نفسه . »

نسي كل شيء يتعلق بلوسي وسار نحو الضوء ، اذ اعتقد بانه اتٍ من باب الخزانة المفتوح . ووجد نفسه يسير خارجاً من بين ظلال شجر التنوب القاتم الكثيف نحو فضاء مكشوف في وسط الغابة .

كان هناك جليد متموّج تحت قدميه ومزيد من ثلج يغمر اغصان الشجر . وتعلو رأسه سماء زرقاء باهتة ، السماء التي يراها المرء في صباح يوم شتوي رائق . ورأى امامه مباشرة الشمس من بين جذوع الشجر ، وهي تشرق ، شديدة الاحمرار صافية .

كان كل شيء ساكنا من حوله ، كأنه الكائن الوحيد في ذلك البلد. بل لم يكن هناك حتى طير « ابو الحناء »* او سنجاب بين الشجر ، فيما امتدت الغابة في كل اتجاه الى أبعد نقطة يستطيع النظر يصل اليها . واصابته رجفة .

تذكر الان انه جاء يبحث عن لوسي وكيف كان فظاً معها بشأن بلدها الخيالي الذي لم يعد الان خيالياً ابداً . وفكر بانها لابد ان تكون في مكان ماقريب فأخذ ينادي :

« لوسي ! يالوسي ! انا هنا أيضا ـ انا ادموند . »

لم يكن ثمة جواب .

فكر ادموند مع نفسه :

« لابد انها غاضبة بسبب كل الاشياء التي قلتها مؤخراً »

ومع ذلك لم يكن راغبا بالاعتراف بأنه كان على خطأ ، بالاضافة الى انه لم يرتح كثيرا لوجوده وحده في مثل هذا المكان الساكن البارد الغريب ، وهكذا صاح من جديد :

« أقول ، يا لو ! أنا متأسف لاني لم اصدقك . وانا ارى الان انك كنت صادقة كل الصدق . هيا اخرجي . ولنتصالح . »

ومثلما حدث في المرة السابقة لم يأت جواب .

قال ادموند يحدث نفسه :

« كأي فتاة منزوية عابسة الوجه لاتقبل اعتذارا . »

تلفّت حوله ثانية ووجد انه لا يحب هذا المكان كثيراً ، وكان قد حزم امره تقريبا على العودة الى المنزل ، حين سمع صوت اجراس آت من اعماق الغابة . أصغى فاذا الصوت يقترب اكثر فأكثر واخيرا ظهرت للعيان زحافة يجرها وعلان .

كان حجم الوعل الواحد بحجم خيول شتلاند تقريبا وشعرهما ناصع البياض لايضاهيه بياض الثلج ، وقرونهما المتشعبة الملتهبة تتوهج كالنار كلما انعكست عليها اشعة شمس الفجر . وكانت الاعنّة من الجلد القرمزي المزين بالاجراس . وكان في مكان الحوذي من الزحافة قزم بدين يبلغ طوله حوالي ثلاثة اقدام اذا وقف . ويرتدي فرو دب قطبي ويضع على رأسه قلنسوة حمراء مزينة بضفيرة ذهبية طويلة تتدلى من اعلى القلنسوة ، وله لحية

---

* ابو الحناء : طائر صغير صدره احمر ضارب الى الصفرة

طويلة كثيفة تغطي ركبتيه يستعملها عوضاً عن دثار سميك • الا ان شخصية تختلف عنه جلست وراءه على مقعد عال يتوسط الزحافة – كانت سيدة عملاقة ، اطول من أية امرأة سبق لادموند ان رآها • وكانت هي الاخرى تتدثر بفرو ابيض يصل الى عنقها وبيدها اليمن تمسك صولجانا عموديا ذهبي اللون وعلى رأسها تاج ذهبي • وكان وجهها ابيض اللون ليس شاحباً ، انما هو ابيض مثل الثلج او الورق او مسحوق السكر ، فيما عدا فم شديد الحمرة • وكان وجهها جميلا في عدة نواحي ، لكنه ينطق بالكبرياء والبرود والصرامة •

كان مشهد الزحافة جميلا وهي تنزلق نحو ادموند والاجراس تجلجل والقزم يفرقع بسوطه والثلج يتطاير في كل اتجاه •

قالت السيدة :

« توقف ! »

وشد القزم عنان الوعلين بقوة حتى كادا ان يسقطا على الارض • وبعدئذ استعادا توازنهما وتوقفا وهما يعضان على اللجام ويلهثان • وكان زفيرهما يخرج من انفيهما الى الهواء الثلجي كأنه دخان •

قالت السيدة وهي ترمق ادموند بنظرة حادة :

« من تكون ، بالله عليك ؟ »

قال ادموند على نحو مرتبك وغير مرتاح لنظرتها :

« أنا – أنا – اسمي ادموند • »

قطبت السيدة جبينها وسألته بنظرة فيها صرامة أكثر من السابق :

« أبهذه الطريقة تخاطب ملكة ؟ »

قال ادموند :

« ارجو عفوك ، يا صاحبة الجلالة ، فانا لا اعرف • »

صرخت به :

« الا تعرف ملكة نارينا ؟ ها ! ستتعرفنا على نحو افضل فيما بعد • ولكنني اعيد سؤالي – ما أنت ؟ »

قال ادموند :

« ارجوك ، ياصاحبة الجلالة ، انا لا افهم قصدك • أنا طالب مدرسة – على الاقل كنت طالب مدرسة – والان فترة عطلة • »

الفصل الرابع

حلوى الحلقوم



قالت الملكة من جديد :
« ولكن ما أنت ؟ اأنت قزم عملاق حلق لحيته ؟ »
قال ادموند :
« لا ، يا صاحبة الجلالة ، أنا لم تكن لي لحية قط ، فأنا صبي ٠»
قالت :
« صبي ! أتقصد انك من بني ادم ؟ »
بقي ادموند ساكتا لايقول شيئا ٠ كان في هذه اللحظة من الارتباك ما جعله لايدرك معنى السؤال ٠
قالت الملكة :
« أنا ارى أنك أحمق ، أيا كان جنسك ٠ اجبني في الحال ، والا فقدت صبري ٠ أأنت انسان ؟ »
قال ادموند :
« نعم ، يا صاحبة الجلالة ٠ »
قالت :
« وكيف استطعت دخول اراضي مملكتي _ بالله عليك ؟ »
قال ادموند :
« أرجوك ، يا صاحبة الجلالة ٠٠٠ جئت عن طريق خزانة الملابس ٠ »
قالت :
« خزانة ملابس ؟ ماذا تقصد ؟ »
قال ادموند :
« يا صاحبة الجلالة انا ـ أنا فتحت باباً فوجدت نفسي هنا ٠ »
قالت الملكة ، مكلمة نفسها اكثر مما تخاطبه :
« ها ! باب ! باب من عالم البشر ! لقد سمعت بمثل هذه الاشياء ٠ وهذا يمكنه ان يدمر كل شيء ٠ لكنه واحد فقط ومن السهل التخلص منه ٠ »

نهضت ، وهي تتكلم من مقعدها وحدقت في وجه ادموند بإمعان ، بعينين متوهجتين ، رافعة عصاها السرية في اللحظة نفسها ٠ وشعر ادموند شعورا اكيدا بانها لابد مقدمة على فعل شيء مخيف الا انه بداعاجزأ عن الحركة ٠ ثم ما أن استسلم للياس ، حتى تبين انها قد غيرت رأيها ٠
قالت بصوت مختلف تماماً
« يا طفلي المسكين ، أي برد هذا الذي يعتريك ! تعال واجلس بقربي في الزحافة وسأضع عليك عباءتي وسنتبادل اطراف الحديث ٠ »
لم يطمئن ادموند لهذا العرض ابدا الا انه لم يجرؤ على العصيان ٠ وصعد الى الزحافة وجلس عند قدميها ، ووضعت عليه جانبا من عباءتها المصنوعة من الفراء ولفته بها جيداً ٠
قالت الملكة :
« لعلك بحاجة الى شراب ساخن يدفئك ؟ ما رأيك ؟ »
قال ادموند واسنانه تصطك :
« نعم ، يا صاحبة الجلالة ، ارجوك ٠ »
وتناولت الملكة قنينة صغيرة جدا من مكان ما من بين طيات غطائها بدت كأنها مصنوعة من نحاس ٠ ثم مدت يدها ، وسكبت قطرة منها على الثلج الى جانب الزحافة ٠ ورأى ادموند القطرة في اثناء سقوطها تلمع مثل ماسة ٠ ولكن في اللحظة التي مست فيها الثلج سمع صوت هسيس وظهر قدح مرصع بالحجارة الكريمة مملوء بشيء ينفث بخارا ٠ تناول القزم القدح من فوره وقدمه الى ادموند وهو ينحني مبتسما ٠ ولم تكن ابتسامة ودودة تماما ٠ وحالما بدأ ادموند يرتشف الشراب الساخن شعر براحة كبيرة ٠ كان شيئا لم يتذوقه من قبل قط ، شراباً حلواً جداً ، ذو رغوة وقشدة ، جعل الدفء يسري في جسده حتى اصابع قدميه ٠
قالت الملكة في التو :
« من السماجة ان تشرب ، يا ابن ادم ، ولا تأكل ٠ ماذا تشتهي ان تأكل ؟ »
قال ادموند :
« حلوى الحلقوم من فضلك يا صاحبة الجلالة ٠ »

سكبت الملكة قطرة ثانية من قنينتها فوق الثلج ، واذا بعلبة مستديرة مشدودة بشريط حريري اخضر ، ما أن فتحت حتى تبين انها تحتوي على عدة ارطال من حلوى الحلقوم ٠ كانت كل قطعة منها حلوة وليّنة ظاهراً وباطنا لم يذق ادموند قط شيئاً ألذّ منهـا ٠ واصبح الان يشعر بدفء تام وبراحة كبيرة ٠

وبينما هو يأكل لبثت الملكة تطرح الاسئلة عليه ٠ حـاول ادموند في البداية ان يتذكر انه من غير اللائق ان يتكلم المرء وفمه مملوء بالطعام ، الاّ انه سرعان ما نسي ذلك واصبح تفكيره على محاولة التهام اكبر كمية من الحلوى ، وكلما التهم كمية رغب في المزيد منها ، ولم يسأل نفسه ابداً لماذا تبدو الملكة شديدة الفضول ٠ لقد حملته على البوح لها بان له اخا وشقيقتين ، وبانّ احدى هاتين الشقيقتين سبق لها ان كانت في نارينا والتقت فونا هناك ، وبان احداً سواه واخيه وشقيقتيه لا يعلم شيئاً عن نارينا وبدا ان وجود الاشقاء الاربعة حظي باهتمام خاص من قبلها ، فظلّت تجر الحديث الى هذا الموضوع ، فسألته :

« أمتأكد من انكم اربعة فقط ؟ ولدان « من ابناء ادم » وبنتان « من بنات حواء » ، لا أكثر ولا أقل ؟ »

واستمر ادموند في حديثه وفمه مملوء بالحلوى :

« نعم ، لقد سبق واخبرتك بذلك ٠ »

ونسي ان يخاطبها بـ « يا صاحبة الجلالة » الاّ انه لم يبدُ عليها انها قد استاءت منه الان ٠

واخيراً ٠٠ نفدت الحلوى كلّها ٠ وحدق ادموند بامعان في الصندوق الفارغ وتمنى لو تسأله ان كان يرغب بمزيد منها ٠ كانت الملكة على الارجح تدرك تماماً ما يدور في ذهنه ، لانها تعرف بعكس ادموند ، ان حلوى الحلقوم تلك سحرية ما ان يذوقها احـد مرة حتـى يطلب المزيد منها والمزيد ، حتـى لو ادى ذلك به ، الى ان يقتل نفسه من شدة الشراهة ٠ الاّ انها بـدلا من تقـديم المزيـد قالت لـه :

« يا ابن ادم ، أنا ارغب كثيراً في رؤية اخوتك ٠ هل تجيء بهم لرؤيتي ؟ »

قال ادموند وهو لا يزال ينظر الى الصندوق الفارغ :

« سأحاول ٠ »

قالت الملكة :

« لو جئت ثانية ـ وهم بصحبتك طبعاً ـ فساعطيك مزيداً من الحلوى ٠ أنا لا استطيع ان اعطيك الان ٠ لان السـحر لا يعمـل عمله الاّ مرة واحدة ٠ في بيتي سيكون الامر مختلفاً ٠ »

قال ادمونـد :

« لماذا لا نستطيع الذهاب الى بيتك الآن ؟ »

عندما ركب معها في الزحافة اول الامر خاف ان تاخذه بعيداً الى مكان مجهول تتعذر عليه بعدئذ العودة منه ، الاّ انه نسي خوفه الآن ٠

قالت الملكـة :

« ان بيتي مكان جميل ، وأنا واثقـة من انـك ستحبّـه ٠ هناك غرف مليئة بالحلوى ، وما هو اكثر من هذا ، ليس لي اطفال ٠ وأنا اريد طفلا حلواً يمكن ان اربّيه ليكون اميراً ويصبح ملـك نارينا من بعدي ٠ ويمكنه ، وهو ما يزال اميراً ، ان يضع تاجاً من ذهب على راسه ويأكل حلوى الحلقوم طول اليوم ، وانـت أذكـى واجمل من رأيت من الصبيان حتى الان ٠ اظنني أحب ان اجعلـك اميراً ـ يوماً ما ، حين تجلب معك الاخرين لزيارتي ٠ »

قال ادموند :

« ولماذا لايتم هذا الآن ؟ »

صار وجهه شديد الاحمرار وفمه لزجا واصابعه دبقـة لـم يكن ذكيا ولا وسيماً برغم أي شيء قد تقوله الملكة فيه ٠

قالـت :

« اوه ، لكنني اذا اصطحبتك معي الان الى هناك ، فلن ارى اخوتك ٠ وأنا تواقة جداً لان أعرف اقاربـك الفاتنيـن ٠ انـت ستصبح الامير و ـ بعدئذ ـ الملـك ، مسالة مفهومـة ، ولكـن يجب ان يكون لديك حاشية ونبلاء ٠ وساجعـل من اخيـك دوقاً ومن شقيقتيك دوقتين ٠ »

قال ادموند :

« ليس فيهم ما يجذب ، وعلى اية حال ، يمكنني ان اتي بهم في وقت آخر ٠ »

قامت الملكة :
« ها ، ولكن ان دخلت بيتي ، لقد تنسى كل شيء بشأنهم · وستمتع نفسك كثيرا وبذلك لن ترغب في تحمل متاعب جلبهم · كلا · عليك ان تعود الى بلدك وتأتي في يوم آخر ، وهم بصحبتك ، انت تدرك ذلك · لا فائدة من المجيء بدونهم · »
قال ادموند يستعطفها :
« لكنني لا اعرف حتى طريق العودة الى بلدي · »
اجابت الملكة :
« ذلك امر سهل » واشارت بصولجانها وقالت : اترى ذلك المصباح ؟ » والتفت ادموند فرأى عمود النور نفسه حيث قابلت لوسي الفون · واستطردت قائلة : سر مستقيما حيث يقع وراء ذلك عالم البشر · والان انظر الى الطريق الاخر — وهنا اشارت الى الاتجاه المعاكس — والان قل لي اذا كنت تستطيع ان ترى التلّتين الصغيرتين اللتين تقعان وراء الاشجار ·
قال ادموند :
« اظن ذلك · »
قالت الملكة :
« حسن ، ان بيتي يقع بين تلكما التلتين · اذن ·· عندما تأتي في المرة القادمة ما عليك الا ان تبلغ عمود النور ، وبعدئذ تفتش عن التلتين ومن ثم تسير من عبر الغابة الى ان تصل بيتي · ولكن لا تنس — ان تحضر الاخرين معك · وسأغضب منك كثيرا اذا جئت وحدك · »
قال ادموند :
« سأبذل قصارى جهدي · »
قالت الملكة :
« و ، بالمناسبة ، لا حاجة بك لان تحكي لهم عني · سيكون مدعاة للتسلية ان تبقي ذلك سراً بيننا نحن الاثنين ، أليس كذلك؟ واترك الامر ليكون مفاجأة لهم · ما عليك الا ان تحضرهم عند التلتين — ان ولدا ذكيا مثلك سيجد بسهولة عذرا كي يفعل ذلك — وعندما تصل بيتي يمكنك ان تقول ، لنر من يسكن هنا او شيئاً من هذا القبيل · وانا على ثقة من ان ذلك هو الافضل · وان كانت شقيقتك قد التقت احد الفونات ، فمن الارجح انها سمعت قصصاً

غريبة حولي — يمكن ان تكون قصصاً بغيضة ربما جعلتها تخاف المجيء اليّ · انت تعرف ان الفونات يقولون اي شيء ، والان — »
قال ادموند فجأة :
« ارجوك ، ارجوك ، ارجوك الا استطيع ان اخذ قطعة واحدة فقط من الحلوى لاكلها وانا في طريقي الى بلدي ؟ »
قالت الملكة ضاحكة :
« لا ، لا ، يجب ان تنتظر حتى المرة القادمة »
وفي اثناء كلامها اومأت الى القزم ان ينطلق وما ان بدأت الزحافة بالابتعاد عن مدى الرؤيا ، حتى لوحت الملكة لادموند وقالت بصوت عال :
« في المرة القادمة ! في المرة القادمة ! لاتنس ، عُد بسرعة · »
كان ادموند يواصل التحديق بالزحافة عندما سمع احداً يناديه باسمه وتلفت حوله فرأى لوسي تتجه نحوه من مكان ما من الغابة ·
قالت :
« اوه ، يا ادموند ! اذن · فقد جئت الى هنا انت ايضاً ! شيء رائع ، والآن — »
قال ادموند :
« حسن ، لقد كنت صادقة وهي خزانة ملابس سحرية على كل حال · ساقول « متأسف » اذا أردت · ولكن اين كنت طول هذه المدة يا ترى ؟ لقد بحثت عنك في كل مكان · »
قالت لوسي التي كانت في غاية السعادة والدهشة وهي ترى ادموند يتكلم على هذا النحو النزق او كيف اصبح وجهه متوردا وغريباً :
« لو كنت عرفت انك دخلت لكنت انتظرتك · لقد تناولت طعام الغذاء مع عزيزي الفون ، السيد تيمنس ، وهو طيب جدا ولم تتخذ الساحرة البيضاء ، أي شيء ضده لانه تركني اذهب في حال سبيلي ، وهو يعتقد بأنها لن تقدر على ان تكتشف الامر وعلى الارجح ان الامور ستمر بسلام على كل حال · »
قال ادموند :
« من تكون الساحرة البيضاء هذه ؟ »

قالـت لوسي :

« هي شخصية شريرة بكل معنى الكلمة وهي تسمي نفسها ملكة نارينا مع انها لاتستحق ان تكون ملكة على الاطلاق ، فكـل الفونات وحوريات الغابة وحوريات الماء* والاقزام والحيوانـات ـ الطيبين منهم على الاقل ـ يبغضونها · وهي تستطيع ان تحـول البشر الى صخر والاقدام على ارتكاب كل انواع الافعـال البشـعة وقد ابتكرت سحراً جعل نارينا في شتاء دائم ـ شتاء ابدي ، ولا وجود فيه لاعياد ميلاد ابداً · وهي تنتقل هنا وهناك بزحافة تجرها الوعول ، وفي يدها صولجانها ، وعلى راسها تاج · »

شعر ادموند في التو بضيق من التهامه حلوى كثيرة جـداً ، وعندما سمع ان تلك السيدة التي عقد معها صداقة هـي ساحـرة شريرة شعر بمزيد من الضيق · الا انـه ظل يرغب في تـذوق المزيد من حلوى الحلقوم اكثر من أي شيء اخر ·

سـال :

« من الذى اخبرك كل هذا الهراء عن الساحرة البيضاء ؟ »

قالت لوسـي :

« الفون ، السيد تيمنس · »

قال ادموند بنبرة من يعرف اكثر بكثير مما تعرفه لوسي عنهم :

« لا يمكنك ان تصدقي باستمرار كل ما يقومه الفونات · »

سألت لوسـي :

« من قال ذلك ؟ »

قال ادموند :

« الجميع يعرف ذلك ، واسالي من تريدين · لكن الوقـوف هنا في الثلج رياضة بائسة · فلنعد الى البيت · »

قالت لوسـي :

« اه نعم ، لنعد يا ادموند ، أنا سعيدة لانك جئت الـى هنـا ايضاً وسيصدق الاخرون بوجود نارينا لاننا كلينا وصلناهـا · يا للمتعة التي ستكون ! »

★ حوريات الماء : حوريات تقول الاساطير اليونانية والرومانية انها تقيم في البحيرات والانهار والينابيع وتمنحها الحياة

لكن ادموند فكر سرا بان ذلك لن يكون ممتعا لـه مثلما سيكون بالنسبة اليها · وعليه ان يعترف بأنّ لوسي كانت على حق امام الاخرين ، كان واثقا من انهم جميعا سيقفون الى جانب الفونـات والحيوانات ، الاّ انه كان يميل أكثر الى جانب الساحرة · لـم يعرف ما الذي سيقوله ، او كيف سيحتفظ بسره ساعة يتحـدث الجميع عن نارينا ·

كانا قد قطعا مسافة جيدة ثم اذا بهما يشعران فجاة بمعاطف تحيط بهما بدلا من اغصان وفي اللحظة التالية كانا يقفان خارج خزانة الملابس في الغرفة الخالية ·

قالت لوسـي :

« اقول ، شكلك فظيع يا ادموند ، الست على ما يرام ؟ »

قال ادموند :

« انا باحسن حال · »

ولم تكن هي الحقيقة · لقد كان يشعر بتوعك شديد ·

قامت لوسي :

« هيا بنا اذن ، لنبحث عن الاخرين · فلدينا اشياء كثيرة نرويها لهم ! واية مغامرات جميلـة سنخـوض كلنا من الآن فصاعداً · »

الفصل الخامس

عودة الى الجانب الآخر من الباب



استغرق العثور على الاخرين بعض الوقت وذلك لان لعبة الاختباء كانت لاتزال مستمرة · ولكن عندما اجتمع الكل اخيرا

(جرى ذلك في الغرفة المستطيلة حيث الدروع) صاحت لوسي فجأة :

« بيتر ! سوزان ؟ ادموند رآه ايضا · هناك بلد تستطيعون الوصول اليه من خلال خزانة الملابس · كلانا ، أنا وادموند ، كنا هناك · لقد التقينا هناك ، في الغابة · هيا ، يا ادموند ، اخبرهم كل شيء عنها · »

قال بيتر :

ما معنى هذا كله يا ادموند ؟ »

ها قد وصلنا الى واحد من اسوأ الاشياء في هذه القصة · كان ادموند ، حتى تلك اللحظة ، يشعر بالغثيان وكان متجهما ، منزعجا من لوسي لانها على حق ولكنه لم يقرر ما ينبغي عليه ان يعمل · وعندما طرح عليه بيتر السؤال فجأة قرر في الحال ان يقوم بأكثر الاشياء التي خطرت بباله وضاعة وخبثا · لقد عزم على ان يخذل لوسي ·

قالت سوزان :

« هيا يا ادموند اخبرنا · »

والقى ادموند نظرة مترفعة كما لو انه اكبر بكثير من لوسي (في الحقيقة كان يكبرها بسنة واحدة فقط) وبعدئذ ضحك ضحكة نصف مكتومة وقال :

« اوه ، نعم ، كنا انا ولوسي نلعب – متظاهرين بأن قصتها كلها حول بلد في خزانة الملابس صحيحة · من اجل اللهو ليس الا · وفي الحقيقة ما من شيء هناك · »

القت لوسي المسكينة نظرة على ادموند وانطلقت خارجة من الغرفة ·

اعتقد ادموند ، الذي صار يزداد سوء لحظة بعد اخرى ، بأنه احرز نجاحا عظيما واستمر من فوره قائلا :

« هاهي تخرج ثانية · ماذا جرى لها ؟ هذا اسوأ ما في الصغار، هم دائما – » ·

قال بيتر ملتفتا نحوه بفظاظة :

« كفى ، اخرس ! لقد عاملت لوسي بمنتهى الدناءة منذ بدأت تروى هذا السخف عن خزانة الملابس ، وصرت الان تتخابث معها

بشأن ذلك وتخذلها من جديد . اعتقد انك فعلت ما فعلت نكاية بها ليس الا . »

بوغت ادموند فقال :

« ولكنها حكاية سخيفة من اولها الى اخرها . »

قال بيتر :

« بالطبع هو محض سخف .. هي تلك المسألة . لقد كانت لو على ما يرام تماما عندما غادرنا المنزل ، ولكن منذ ان جئنا الى هنا وهي تبدو غريبة الاطوار كما لو ان مسا من الجنون قد اصابها او أنها انقلبت الى كذابة فظيعة . مهما تكن عليه فأي خير تظن نفسك تفعل بسخريتك منها ومناكدتها يوما وتشجيعها في اليوم التالي ؟ »

قال ادموند :

« فكرت .. فكرت .. »

الا انه لم يستطيع ان يفكر بشيء يقوله .

قال بيتر :

« انت لم تفكر باي شيء على الاطلاق ، وانما هي بغضاء حسب . كنت دائما تحب ان تعامل بفظاظة من هو اصغر منك سنا ، وقد لمسناه في المدرسة من قبل . »

قالت سوزان :

« كفا عن ذلك ، ان شجاركما لن يجعل الامور تسير نحو الافضل . هيا بنا نبحث عن لوسي . »

لم تكن مفاجئة ، حين وجدوا لوسي ، بعد ذلك بوقت طويل ، أن يروها تبكي . ولم ينفع معها اي كلام . فقد ظلت متمسكة بحكايتها وقالت :

« لا احفل بما تفكرون ، ولا بما تقولون . تستطيعون ان تخبروا البروفسور او تكتبوا لأمنا او ان تفعلوا ما يحلو لكم . انا أعرف انني قابلت فونا هناك و ــ ليتني بقيت هناك وانتم جميعا وحوش ، وحوش . »

كان مساء كئيبا . وكانت لوسي تعيسة وبدأ ادموند يشعر ان خطته لا تجري كما كان يتوقع . بدأ الاثنان الكبيران يفكران حقا بأن لوثة قد اصابت عقل لوسي . ووقفا في الممر يتحدثان همسا حول الموضوع ، بعد ذهاب لوسي الى فراشها بوقت طويل .

وكانت ثمرة ذلك انهما عزما في اليوم التالي على الذهاب حقا الى البروفسور واخباره بكل شيء . وقال بيتر :

« سيكتب للوالد اذا تيقن ان علة اصابت لوسي . المسألة خرجت من ايدينا . وهكذا ذهبا الى البروفسور وطرقا باب مكتبه ، فقال « تفضلا » ونهض واحضر لهما كرسيين وقال انه رهن اشارتهما تماما . جلس مصغيا لهما وهو يضغط رؤوس اصابعه بعضها ببعض من دون ان يقاطعهما ابدا ، الى ان اكملا سرد القصة كلها . لزم الصمت لفترة طويلة لم يقل فيها شيئا . وبعدئذ تنحنح وقال مالم يكن احد منهما يتوقعه متسائلا :

« كيف تعرفان ان قصة شقيقتكما مختلقة ؟ »

قالت سوزان :

« اوه ، ولكن ــ » ثم توقفت عن الاستمرار . كان باستطاعة اي كان ان يدرك من تعابير وجه العجوز انه كان جادا تماما . وبعدئذ استجمعت سوزان رباطة جأشها وقالت :

« ولكن ادموند قال انهما كانا يتظاهران بذلك فقط . »

قال البروفسور :

« تلك نقطة جديدة بالتأمل حقا ، التأمل الدقيق . مثلا ــ اذا سمحتما لي ان أسأل السؤال ــ من تثقان به اكثر ، من التجربة ، اخاكما ام اختكما ؟ أقصد : من منهما أصدق ؟ »

قال بيتر :

« هذا هو الجانب المضحك من الامر ياسيدي . كنت حتى هذه اللحظة اقول دائما ان لوسي هي الاصدق . »

قال البروفسور موجها كلامه الى سوزان :

« وانت يا عزيزتي ماذا تظنين ؟ »

قالت سوزان :

« في الواقع ، عموما ، اقول ما قاله بيتر ، ولكن كل هذا الذي دار حول الغابة والفون ــ لايمكن ان يكون حقيقيا . »

قال البروفسور :

« هذا كلام جديد علي ، واتهام شخص تعرفه صادقا على طول الخط بالكذب مسألة جد خطيرة ، مسألة خطيرة للغاية فعلا . »

قالت سوزان :

« نحن نخشى ان لا تكون تلك مجرد كذبة ، ونعتقد بأن ثمة شيئا غير طبيعي يحدث للوسي • »

قال البروفسور بهدوء شديد :

« أتقصدين الجنون ؟ اوه ، لكنا ان تطمئنا من هذه الناحية • فما على الواحد الا ان ينظر اليها ويتكلم معها ليتأكد من انها ليست مجنونة • »

قالت سوزان :

« انما • » وتوقفت عن الكلام • لم يخطر ببالها ان شخصا راشدا يمكن ان يتكلم مثلما تكلم البروفسور ولم تدر بماذا تفكر • »

قال البروفسور شبه محدث نفسه :

« المنطق ! لماذا لا يدرسون المنطق في هذه المدارس ؟ هناك ثلاثة احتمالات فقط • أما ان تكون اختكما تروي اكاذيب ، او انها مجنونة ، او تقول الحقيقة • انتما تعرفان انها لا تروي اكاذيبا وواضح انها ليست مجنونة ، حتى هذه اللحظة ، وما لم يتوفر دليل ، علينا ان نفترض انها تقول الحقيقة • »

نظرت سوزان اليه بامعان فتأكد لها من تعابير وجهه انه لا يسخر منهما •

قال بيتر :

« ولكن كيف يمكن ان تكون حقيقة ياسيدي ؟ »

سأل البروفسور :

« لماذا تقول هذا ؟ »

قال بيتر :

« في الواقع ، من اجل شيء واحد ، اذا كانت حقيقة فلماذا لايكتشف هذا البلد كل من يذهب باستمرار الى خزانة الملابس ؟ اقصد ، لم يكن هناك شيء عندما تفحصنا المكان ، حتى لوسي لم تزعم وجود شيء • »

قال البروفسور :

« وما علاقة هذا بوجوده ؟ »

قـــال :

« حسن ، ياسيدي ، اذا كانت الاشياء حقيقية ، فمعنى ذلك انها موجودة طول الوقت • »

قال البروفسور :

« أهي كذلك ؟ » ولم يدري بيتر ماذا يقول •

قالت سوزان :

« لكن لم يكن هناك متسع من الوقت • لم يكن امام لوسي وقت لان تذهب الى اي مكان ، حتى لو كان مثل ذلك المكان موجودا• لقد ركضت خلفنا لحظة اصبحنا خارج الغرفة • وكانت اقل من دقيقة ، وزعمت انها غابت عنا ساعات • »

قال البروفسور :

« هذا بالذات هو الشيء الذي يرجح ان تكون قصتها حقيقية• واذا كان هناك حقا باب في هذا البيت يؤدي الى عالم اخر (ارى من الواجب علي ان احذركم من ان هذا البيت غريب جدا ، وحتى أنا لا أعرف عنه سوى القليل) ــ اقول ، اذا كانت قد ذهبت الى عالم اخر ، فلن تصيبني دهشة ابدا ان اكتشف ان لذلك العالم وقتا اخر يختلف عن وقتنا ، وعليه مهما مكثتم هناك فلن يستغرق ذلك شيئا من وقتنا • ومن ناحية اخرى ، لا اظن ان فتيات بمثل سنها يختلقن تلك الفكرة ارضاء لانفسهن • لو كانت تزعم لكانت اختفت لفترة مناسبة قبل الظهور ورواية قصتها • »

قال بيتر :

« ولكن أتقصد حقا ، ياسيدي ان بالامكان وجود عوالم اخرى تحيط بنا ••• هناك عند المنعطف ••• هكذا ؟ »

خلع البروفسور عويناته وبدأ يمسحها وهو يغمغم مع نفسه :

« ما من شيء أقرب الى الاحتمال • ترى ماذا يعلمونهم في هذه المدارس ؟ »

قالت سوزان وقد شعرت بأن الحديث بدأ يبتعد عن صلب الموضوع :

« ولكن ما الذي يجب علينا القيام به ؟ »

نظر البروفسور اليهما فجأة نظرة ثاقبة وقال :

« ياسيدتي الصغيرة العزيزة ، هناك طريقة واحدة لم يقترحها أحد حتى الان وهي جديرة بالاختبار • »

قالت سوزان :

« ما هي ؟ »

قـــال

« ان نحاول جميعا الانصراف الى شؤوننا · »

وكانت تلك خاتمة الحديث · بعد هذا تحسنت الامور كثيرا بالنسبة للوسي · فعمل بيتر على جعل ادموند يكف عن السخرية منها ، ولم تعد هي أو سواها يشعرون بميل للحديث عن خزانة الملابس على الاطلاق · فقد أصبح موضوعا مقلقا ·

وبدا لفترة كان جميع المغامرات قد وصلت الى نهايتها الا ان ذلك لم يتحقق ·

ان منزل البروفسور هذا ـ الذي لا يعرف هو نفسه عنه الا الشيء القليل ـ كان من العراقة والشهرة ما جعل الناس من جميع انحاء انكلترا يأتون اليه طالبين السماح لهم بالاطلاع عليه · كان من طراز المنازل التي ذكرت في الدليل السياحي وحتى في كتـــب التاريخ ، فقد كان جديرا بكافة ضروب القصص التي رويت عنه ، وبعضها أشد غرابة من التي أرويها لكم الان · كان البروفســـور يأذن دائما للزوار برؤية المنزل · وكانت السيدة ماكريدي ، مدبرة المنزل ، تأخذهم بجولة في انحاء المنزل ، وتحكي لهم عن اللوحـات والدروع والكتب النادرة في المكتبة · لم تكن السيدة ماكريدي تميل الى الاطفال ، ولم تكن تحب ان يقاطع حديثها عندما تخبر الزوار بكل الاشياء التي تعرفها · لقد قالت لسوزان وبيتر في صباح اول يوم تقريبا (مع عدد غير قليل من التعليمات الاخرى) :

« وتذكروا رجاء ، ان تبتعدوا عن طريقي كلما صحبت فريقا من الزوار للاطلاع على المنزل · »

قال ادموند :

« كما لو ان أيا منا يعجبه ان يضيع نصف الصباح في التطواف برفقة حشد من البالغين ! » وقد فكر الاخرون بالفكرة نفسها ·

هكذا بدأت المغامرات للمرة الثانية ·

بعد بضعة ايام كان بيتر وادموند ينظران نحو طقم الدروع ويتساءلان ان كانا يستطيعان تفكيكه الى قطع صغيرة عندما اندفعت الفتاتان الى الغرفة قائلتين :

« حذار ! لقد جاءت السيدة ماكريدي وبصحبتها عدد كبير من الزوار » ·

قال بيتر :

« نعم التحذير ! »

وانطلق الاربعة عبر الباب الذي في اقصى الغرفة · ولكـــن عندما فروا من الغرفة الخضراء ، ومن بعدها الى المكتبة ، سمعوا فجأة اصواتا تسبقهم وادركوا ان السيدة ماكريدي لابد جـاءت بزوارها من طريق السلم الخلفي بدلا من السلم الامامي كما كانوا يتوقعون · بعد ذلك وجدوا انفسهم ملاحقين في كل مكان ، لانهم فقدوا صوابهم او لان السيدة ماكريدي كانت تحاول الامساك بهم او أن نوعا من السحر دب في البيت وراح يسوقهم الى نارينا ، الى ان قالت سوزان اخيرا :

« اوه يا لهم من زوار مزعجين ! والان ـ هيا بنا ندخل غرفة خزانة الملابس الى ان يمروا · لن يتبعنا احد الى هناك · » ولكـــن ما ان اصبحوا في الداخل حتى سمعوا اصواتا في الممر ـ ثم جاء صوت واحد يعبث بالباب ـ واذا بهم يروا مزلاجا يدور :

قال بيتر :

« اسرعوا ! ليس هناك مكان اخر · » وفتح بـاب الخزانـة بقوة · والقى اربعتهم بانفسهم داخلها وجلسوا هناك ، في الظلام ، يلهثون · وابقى بيتر الباب مواربا ، لانه ، بالطبع ، تذكر ، مثلما يفعل اي شخص عاقل ، انه لا يجوز لك ان تغلق على نفسك خزانة ملابس ·

الفصل السادس

في الغابـــة



قالت سوزان من فورها :

« اتمنى ان تسرع السيدة ماكريدي وتمضي بكل هؤلاء الناس ، اصبحت اشعر بضيق رهيب • »

قال ادموند :

« يا لها من رائحة كافور كريهة ! »

قال سوزان :

« اظن جيوب هذه المعاطف مملوءة به ، لتبعد العث • »

قال بيتـــر :

« هناك شيء التصـــق بظهـــري • »

قالت سوزان :

« أليس باردا ؟

قال بيتر :

« مادمت ذكرت البرودة •• نعم بارد •• واعجب من هذا انه رطب ايضا • ما حكاية هذا المكان ؟ أنا جالس فوق شيء رطب يزداد رطوبة لحظة بعد أخرى • » وهب واقفاً •

قال ادموند :

« لنخرج من هنا ، فقد ذهبوا »

قالت سوزان فجـــأة :

« او ـ او ـ اوه ! »

« انا جالسة عند شجـرة ، انظـروا ! بدأ الظـلام يـزول ـ هنـــاك • »

قال بيتر :

« صدقت والله • انظروا هناك ـ وهناك • الاشجار في كـل مكان • وهذا الشيء الندي هو ثلج • عجباً ، انا اميل الى الاعتقاد بأننا اخيرا دخلنا غابة لوسي • »

ولم يعد الان ثمة شك بوجودها فالاطفال الاربعة كلهم وقفوا ينظرون بعيون طارفة الى فجر يوم شتائي ، وراءهم معاطف معلقة على مشاجب وامامهم اشجار مغطاة بالثلج •

التفت بيتر نحو لوسي في الحال وقال :

« اعتذر لانني كذبتك ، أنا اسف • انتصافح ؟ »

قالت لوسي

« بالطبع • » وتصافحا

قالت سوزان :

« والان ، ماذا نفعل بعدئذ ؟ »

قال بيتر :

« نفعل ؟ عجبا ، بالطبع نذهب ونكتشف لغز الغابة • »

قالت سوزان داقة الارض بقدميها :

« البرد شديد ! ما رأيكم لو ارتدينا بعض هذه المعاطف ؟ »

قال بيتر مترددا :

« هي ليست ملكنا • »

قالت سوزان :

« انا متأكدة من ان احدا لن يعارض ، نحن لن نخرج بها خارج المنزل ، بل اننا لن نخرج بها من الخزانة • »

قال بيتر :

« انا لم افكر بذلك يا سو ابدا · بالطبع ما دمت وضعتها بهذه الصيغة · وهكذا لن يتهمكم احد بأخذ معطف ما دمتم ستتركونه حيث هو في الخزانة · اظن ان هذا البلد كله يقع في خزانة ·

ونفذوا فكرة سوزان المعقولة في الحال · كانت المعاطف كبيرة جدا بالنسبة اليهم اذ وصلت بعد ان ارتدوها الى عقب اقدامهم وبدت اشبه باردية ملكية اكثر منها بمعاطف · ولكنهم شعروا بدفء كبير واعتقد كل واحد منهم بأنهم قد اكتسبوا بمظهرهم الجديد سمتا افضل وملائمة اكثر للطبيعة ·

قالت لوسي :

« نستطيع ان نتظاهر باننا من مكتشفي القطب الشمالي · »

قال بيتر ، وهو يقود الاخرين الى داخل الغابة :

« المسالة هذه مثيرة بما فيه الكفاية من دون حاجة الى اي تظاهر · »

في السماء غيوم كثيفة داكنة تنذر باحتمال سقوط مزيد من الثلج قبل حلول الظلام ·

قال ادموند فجأة :

« اقول ، الا يتعين علينا ان ننحرف قليلا الى اليسار ، اذا كنا نقصد عمود النور ؟ » لقد نسي في تلك اللحظة ان عليه التظاهر بأنه لم يات الى الغابة قط من قبل · وفي اللحظة التي خرجت فيها الكلمات من فمه ادرك ان أمره انكشف · توقف الجميع عن مواصلة السير وحدقوا به · وصفر بيتر وقال :

« اذن · لقد سبق لك وان كنت هنا ، وفي الوقت الذي قالت لوسي انها قابلتك هنا ـ اتهمتها في حينها انها روت لنا اكاذيب · »

وخيم صمت ثقيل ·

قال بيتر :

« · · · من بين كل الحشرات السامة ـ » وهز كتفيه استهجانا ولزم الصمت · ولم يعد هناك حاجة لمزيد مما يقال حقا ، واستأنف الاربعة رحلتهم ، الا أن ادموند قال في نفسه :

« ساجعلكم تدفعون ثمن هذا كله يا ادعياء الفضيلة المغرورين · »

قالت سوزان محاولة تغيير موضوع الحديث :

« الى اين نحن ذاهبون ، على اية حال ؟ »

« أعتقد بأن لوسي يجب ان تقودنا ، وهي جديرة بذلك · الى اين ستقودينا يا لوسي ؟ »

قالت لوسي :

« ما رأيكم لو ذهبنا لرؤية لسيد تيمنس ؟ فهو فون لطيف سبق ان حدثتكم عنه · »

وافق الجميع على هذا واخذوا يحثون الخطى يدقون باقدامهم على الثلج · واثبتت لوسي انها قائد جيد · لقد تساءلت في البداية ان كان بمقدورها العثور على الطريق ، الا انها رأت شجرة غريبة في مكان واصل شجرة مقطوعة في مكان اخر وقادتهم الى ارض متموجة ثم الى الوادي الصغير واخيرا الى الباب الصغير للكهف السيد تيمنس · ولكن مفاجاة مخيفة كانت بانتظارهم هناك ·

كان الباب مخلوعا ومحطما الى كسر صغيرة · كان الكهف مظلما وباردا ومقبضا للصدر وتنبعث منه رائحة بيت مهجور منذ عدة ايام · وقد تدفق الثلج من الباب وتكوم على الارضية ، ممتزجا بشيء أسود تبين انه عيدان محترقة ورماد · يبدو ان احدهم نثرها بقوة هنا وهناك في ارجاء الكهف وداس عليها · وكانت انية فخارية مطروحة على ارض الكهف وصورة والد الفون قد مزقت بسكين الى قطع صغيرة ·

قال ادموند :

« تنظيف حسن حقا ، لم يكن مجيئنا هنا ذا نفع كثير · »

انحنى بيتر وقال :

« ما هذا ؟ » فقد لمح قصاصة ورق دقت بمسمار الى السجادة ·

سالت سوزان :

« اكتب شيء عليها ؟ »

اجاب بيتر :

« نعم ، اظن ذلك ، ولكنني لا استطيع قراءته في هذا الضوء الخافت · هيا بنا الى خارج الكهف · »

خرج الجميع الى ضوء النهار والتفوا حول بيتر اذ راح يقرأ الكلمات الاتية :

ان الساكن السابق في هذه الدار ، الفون تيمنس ، قد القي القبض عليه وهو ينتظر محاكمته بتهمة الخيانة العظمى ضد صاحبة

الجلالة جادس ، ملكة نارنيا ، سيدة قصر كيربارافل ، امبراطورة جزر لون ، الخ ، ولانه اصبح عونا لاعداء الملكة ، وملجأ جواسيس البشر واخا لهم ·

توقيع موجريم ، قائد الشرطة السرية
تحيا الملكة !

وتفرس الاطفال في بعضهم البعض
قالت سوزان :
« أنا لا أعرف ان كنت سأميل الى هذا المكان بعد كل هذا · »
قال بيتر :
« من هي هذه الملكة يا لو ؟ أتعرفين اي شيء عنها ؟ »
اجابت لوسي :
« هي ليست ملكة حقيقية ابدا · وهي ساحرة مخيفة ، الساحرة البيضاء·الكل – كل واحد من سكان الغابة – يكرهونها · لقد سلطت سحرا على كل انحاء البلد وبذلك اصبح هنا شتاء دائم وليس ثمة اعياد ميلاد ابدا · »
قالت سوزان :
« أنا – أنا اتساءل ان كان هناك معنى لاستمرارنا · القصد ، يظهر انه لا يوجد أمان هنا ولن يكون لهو كثير ايضا · والبرودة تزداد مع مرور الوقت ، ونحن لم نجلب معنا ما نأكله · ما رأيكم في العودة الى المنزل ؟ »
قالت لوسي فجأة :
« اوه ، لكننا لا نقدر ، لا نقدر ، الا تدركون ؟ أننا بعد هذا حقا لانقدر على العودة الى المنزل · لقد كنت انا السبب في المتاعب التي تعرض لها الفون الطيب · هو اخفاني عن عيني الساحرة البيضاء وارشدني الى طريق العودة للمنزل · ذلك هو المقصود بمساعدة اعداء الملكة والتحالف مع البشر · وارى من الانصاف ان نحاول انقاذه · »
قال ادموند :
« انستطيع ان نفعل اشياء كثيرة ! في حين لا نملك شيئا نأكله ! »
قال بيتر الذي ما يزال مستاء من ادموند :
« اخرس – انت ! ماذا ترين يا سوزان ؟ »

قالت سوزان :
« يتملكني شعور مخيف بأن لو على حق ، ولا اريد ان اتقدم خطوة أخرى الى الامام وأتمنى لو أننا لم نأت على الاطلاق · ولكنني اعتقد بأن علينا ان نفعل شيئا لمساعدة السيد أيا كان اسمه – أقصد الفون · »
قال بيتر :
« وانا اشعر بذلك ايضا ، أنا قلق لعدم وجود طعام لدينا كنت سأؤيد العودة لنأخذ شيئا من مخزن المؤن ، لولا أني لست متأكدا من انك عندما تخرجين مرة من هذا البلد فهناك شك في العودة اليه من جديد · واعتقد بأن علينا ان نستمر · »
قالت الفتاتان :
« ونحن كذلك · »
قال بيتر :
« لو كنا نعرف فقط اين سجن الغلام المسكين ! »
لبثوا ساكتين يتساءلون ماذا سيفعلون عندما قالت لوسي :
« انظروا ! هناك طائر ابو الحناء ، ذو صدر احمر · »
اول طير اراه هنا · اقول ! – ترى اتقدر طيور في نارنيا على الكلام ؟ يبدو تقريبا كأنه يريد ان يقول لنا شيئا · » ثم التفتت الى طائر ابو الحناء وقالت :
« ارجوك ، أيمكنك ان تخبرنا الى اين أخذ الفون تيمنس ؟ وفي اثناء سؤالها خطت خطوة نحو الطير · وطار في الحال مبتعدا الا أن ابتعاده لم يتعد الشجرة التالية · فحط عليها ونظر اليهم بامعان كما لو انه فهم كل الذي قالوه · واقترب الاطفال الاربعة خطوة او اثنتين من الطير من دون انتباه · فطار ابو الحناء من جديد الى الشجرة التي تليها وهو يتفرس بهم بحدة اشد من السابق·(مامن طائر ابي حناء له صدر بمثل هذا الاحمرار وعين بمثل هذا اللمعان) ·
قالت لوسي :
« أتدرون ، أنا أعتقد بأنه يريد منا ان نتبعه · »
قالت سوزان :
« يخيل لي ان هذا هدفه ، ما رأيك يا بيتر ؟ »
اجاب بيتر :
« حسن ، يحسن بنا ان نجرب ذلك · »

وتبين ان الطائر قد ادرك الامر على نحو تام · واستمر يطير من شجرة الى شجرة ، متقدما بضع ياردات في كل مرة ، ولكنها باستمرار كانت مسافة قريبة تتيح لهم ان يتبعوه بسهولة · وبهذه الطريقة قادهم ، وبهدوء نحو سفح تلة · وكان الغصن الذي يحط عليه طائر ابو الحناء يسقط شيئا من نثيث ثلج · وسرعان ما انقشعت الغيوم واشرقت شمس الشتاء واصبح الثلج المحيط بهم ساطعا على نحو باهر · كان قد مضى عليهم وهم سائرون بهذه الطريقة حوالي نصف ساعة ، وكانت الفتاتان تسيران في المقدمة ، عندما قال ادموند لبيتر·

« لدي شيء اقوله يحسن بك ان تصغي اليه اذا لم تعد متمسكا بمقاطعتي · »

سأل بيتر :

« ما هو ؟ »

قال ادموند :

« هش ! اخفض صوتك ، يستحسن الا نخيف الفتاتين · ولكن اتدرك ما الذي نفعله ؟ »

قال بيتر هامسا :

« ماذا ؟ »

قال ادموند :

« نحن نتبع دليلا لا نعرف شيئا عنه · كيف لنا ان نعرف اي جانب ينحاز اليه ذلك الطير ؟ لم لا يكون يقودنا الى فخ ؟ »

قال بيتر :

« هذه فكرة خطيرة جدا · انت تعرف انه ــ طير ابو الحناء · ففي جميع القصص التي قرأتها وجدت هذه طيور طيبة · انا على يقين ان هذا الطائر ليس في جانب الباطل · »

قال ادموند :

« ما دام الحديث أخذ هذا الاتجاه ، فما هو جانب الحق ؟ وكيف نقدر ان نعرف ان الفونات على حق والملكة (نعم ، اعرف انه قد قيل لنا انها ساحرة) على باطل ؟ نحن في الواقع لا نعرف شيئا عن كليهما · »

قال بيتر :

« لقد انقذ الفون لوسي · »

قال ادموند :

« هو ادعى ذلك · ولكن كيف لنا ان نعرف ؟ وهناك شيء اخر ايضا · هل لأحد فكرة عن الطريق الذي يؤدي من هنا الى المنزل ؟ »

قال بيتر :

« واعجبا ! لم أفكر بذلك · »

قال ادموند :

« ولا أمل في عشاء ايضا · »

الفصل الســابع

يــوم مــع القنــادس



بينما كان الصبيان يتهامسان في المؤخرة ، صرخت الفتاتان فجأة :

« اواه ! » ثم صمتتا ·

صاحت لوسي :

« طائر ابو الحناء ! طائر ابو الحناء · لقد طار بعيدا · » وهكذا اختفى ـ بعيدا عن الانظار ·

قال ادموند :

« والان ·· ماذا سنفعل ؟ وهو ينظر الى بيتر نظرة كمن يقول « ألم أقل لكم ؟ »

قالت سوزان

« صه ! انظروا ! »

قال بيتر :

« ماذا ؟ »

هناك شيء يتحرك بين الاشجار ـ هناك الى اليسار · » وحدق الجميع بانعام ، وشعروا بقلق شديد ·

قالت سوزان في الحال :

« هاهو يتحرك ثانية · »

قال بيتر :

« لقد رأيته انا ايضا · مايزال هناك · هاهو يتوارى خلف تلك الشجرة الكبيرة · »

سألت لوسي وهي تحاول بصعوبة ان تخفي قلقها :

« ما هذا ؟ »

قال بيتر :

« أيا كان ، فهو يراوغنا · انه شيء لا يريد ان يراه احد · »

قالت سوزان :

« لنعد الى المنزل · »

وادرك الجميع فجأة الحقيقة التي كان قد همس بها ادموند لبيتر في نهاية الفصل السابق · لقد ضلوا الطريق · برغم من ان احدا منهم لم يفصح عن هذا ·

قالت لوسي :

« ماذا يشبه ؟ »

قالت سوزان :

« انه – انه نوع من الحيوانات و ··· ثم ، انظروا ! انظروا ! بسرعة ! ذاك هو · »

رآه جميعهم هذه المرة · حيوان ظهر امامهم من وراء شجرة ذو وجه دراني ذو شوارب · ولكنه في هذه المرة لم يرتد الى الوراء حالا · بل وضع كفه على فمه مثلما يضع البشر اصابعهم على شفاههم عندما يشيرون عليك بالتزام الهدوء · ثم اختفى من جديد · حبس الاطفال انفاسهم ·

وبعد لحظة ظهر الغريب من وراء الشجرة ، وتفحص المكان من حوله كمن يخشى من ان يكون مراقبا ، وقال : « صه · » ، مشيرا اليهم ان ينضموا اليه في البقعة الكثيفة من الغابة حيث يقف ، ثم اختفى مرة اخرى ·

قال بيتر :

« انا اعرف ما هو ، انه قندس · لقد رأيت الذيل · »

قالت سوزان :

« هو يريدنا ان نلحق به ، ويحذرنا من احداث اية ضوضاء · »

قال بيتر :

« اعرف · والسؤال هو ، انلحق به أم لا ؟ ما هو رأيك يا لو· »

قالت لوسي :

« اظن انه قندس طيب · »

قال ادموند :

« نعم ، ولكن كيف لنا ان نعرف ؟ »

قالت سوزان :

« ألا يحسن بنا ان نجازف ؟ أقصد ، لا فائدة من الوقوف هنا ساكتين وانا اشعر بحاجة الى بعض العشاء · » اطل القندس في تلك اللحظة برأسه من وراء الشجرة واومأ لهم بحماس ·

قال بيتر :

« هيا · لنمتحنه · لا تتفرقوا · علينا ان نكون اندادا لقندس واحد اذا تبين انه عدو · »

وهكذا سار الصبيه جنبا الى جنب نحو الشجرة وداروا خلفها ··· هناك وجدوا القندس بلا ريب ، الا انه لا يزال يرتد الى الوراء ، قائلا لهم بصوت هامس اجش :

« تقدموا اكثر · الى هنا · لن نكون بامان في مكان مكشوف ! »

ولم يتحدث اليهم الا حين وصلوا الى مكان مظلم حيث نمت اربعة اشجار متقاربة متشابكة الاغصان بما جعل رؤية الارض البنية واوراق الصنوبر تحت الاقدام ممكنة لعدم سقوط ثلج هناك ·

قال القندس :

« أأنتم ابناء ادم وبنات حواء ؟ »

قال بيتر :

« نحن بعض منهم · »

قال القندس :

« صه – صه – صه – صه ! لا ترفع صوتك ارجوك · نحن ، حتى هنا ، معرضون للخطر · »

قال بيتر :

« لماذا ، وممن نخاف ؟ لا يوجد احد غيرنا هنا · »

قال القندس :

« توجد الاشجار ، وهي تسترق السمع ايضا · ان معظمها يقف الى صفنا ، ولكن هناك اشجار تتجسس علينا لمصلحتها ، انت تعرف من اقصد · » وهز رأسه عدة مرات ·

قال ادموند :

« اذا كان الحديث عن الانتماءات ، فكيف لنا ان نعرف انك صديق ؟ »

اضاف بيتر :

« هو لا يقصد ان يكون فظا ، ياسيد قندس ، لكنك كما تعرف نحن غرباء · »

قال القندس :

« صحيح حقا ، صحيح حقا ، هاهي شارتي · » ومع هذه العبارة عرض عليهم شيئا صغيرا ابيض اللون · نظروا اليه بدهشة ، حتى قالت لوسي فجأة :

« اوه ، بالطبع ، هذا منديلي – المنديل الذي اعطيته للسيد تيمنس الطيب · »

قال القندس :

« هذا صحيح ، ياله من صديق مسكين ، لقد اكتشف في الواقع بمؤامرة القبض عليه قبل وقوعها وأتمنني على هذا . وقال اذا حدث شيء لي فعلي ان اقابلكم هنا واصحبكم الى — » وهنا اختنق صوت القندس وتوقف عن الكلام وأومأ برأسه ايماءة او اثنتين مبهمتين . وبعدئذ اشار للصبية ان يتحلّقوا حوله قدر استطاعتهم ، حتى لامست وجوههم شاربيه وشعروا في الواقع بوخزها الخفيف ، واضاف بهمس :

« يقولون ان اصلان يزحف — ومن المحتمل ان يكون قد وصل . »

في هذه اللحظة حصل شيء غريب . لم يكن أيّ من الصبية يعرف أكثر مما تعرف انت من هو اصلان هذا ، ولكن ما أن تفوه القندس بهذه الكلمات حتى شعر الجميع بأنهم تغيّروا . ربما يكون قد حدث لك هذا أحيانا في حلم ان يقول احدهم شيئا لاتفهمه ولكنه في الحلم يبدو كأنه يحمل معنى كبيراً — معنى مرعباً يحيل الحلم الى كابوس او معنى حسنا ، يصعب عليك ان تصوغه في كلمات ، يجعل الحلم جميلا جدا تتذكره طول حياتك وتتمنى ان تعود اليه دائماً . وهو هكذا الان . لقد شعر كل صبي عند سماعه اسم اصلان بأن شيئا ما يتوثّب في داخله .

شعر ادموند برعب غامض ، وشعر بيتر فجأة بأنه شجاع ومغامر . وشعرت سوزان كان عطرا زكيا ولحنا موسيقيا بهيجا طاف بها . وشعرت لوسي بما تشعر به عندما تستيقظ من النوم في الصباح وتدرك ان ذلك هو بدايه العطلة او بداية فصل الصيف. قالت لوسي :

« وماذا حل بالسيد تيمنس ، اين هو ؟ »

« صه — صه — صه ، ليس هنا . عليّ ان آخذكم الى حيث نستطيع ان نتحدث حديثا جادا ونتناول العشاء ايضاً . »

لم يشعر اى واحد منهم الان بما يحول دون الوثوق بالقندس ماعدا ادموند . وعند سماعهم كلمة « عشاء » فرحوا جميعا بما فيهم ادموند . وهكذا أسرعوا وراء صديقهم الجديد الذي قادهم بسرعة مدهشة ، وعبر المناطق التي تتشابك فيها اشجار الغابة بأستمرار ، مدة تزيد على ساعة . كان التعب والجوع قد أخذا منهم عندما بدأت

الاشجار فجأة بالانفراج امامهم والارض تأخذ بالانحدار بشدة وما هي الا دقيقة حتى وجدوا انفسهم في فضاء مفتوح (وكانت الشمس لا تزال مشرقة) واذا هم يشرفون على منظر جميل .

كانوا يقفون عند حافة واد ضيق شديد الانحدار يجري في قاعه نهر واسع — كان سيجرى على الاقل لو لم يكن متجمدا . وكان في الاسفل منهم سدأ مبني فوق هذا النهر ، وعندما رأوه تذكروا فجأة ان القنادس تبني سدوداً دائماً فتأكد لهم ان السيد القندس هو الذى بنى هذا السد . ولاحظوا ايضا ان نوعاً من علائم التواضع ارتسم على وجهه ذلك النوع من العلائم التي تبدو على وجوه الناس عندما تزور حديقة اقاموها او قراءة قصة من تأليفهم . وهكذا كان من الطبيعي حين قالت سوزان :

« ياله من سد جميل ! »

ان لا يقول السيد القندس « صه » هذه المرة بل « شيء غير ذي بال ! شيء غير ذي بال ! وهو في الحقيقة لم يكتمل بعد ! »

كان المفروض ان تعلو السد بركة عميقة ولكنها الان ، قاع مستو من ثلج داكن اللون . وكان في اسفل السد ، على عمق كبير ، مزيد من جليد ، انما لم يكن مستويا ، بل متموجاً كأن الماء كان مندفعا بقوة لحظة هبط عليه الانجماد .

وحيث فاض الماء من فوق السد أو تسرّب من خلاله اكتسى الحائط بكتل جليدية متألقة ، كما لو ان واجهة السد قد كُسيت كلها بزهور واكاليل وزينات من سكر نقي . وكان ثمة بيت يتوسط أعلى السد تقريبا بيت صغير عجيب ذو شكل أقرب الى شكل خلية نحل عملاقة ، في سقفه فتحة يتصاعد منها الدخان ، ما أن تراه (خاصة اذا كنت جائعاً) حتى تتذكر الطبيخ ويشتد عليك الجوع أكثر من ذي قبل .

هذا ما راه الاخرون في المقام الاول ، لكن ادموند رأى شيئاً آخر . لقد كان هناك نهر صغير اخر يبعد قليلا عن مجرى النهر ينحدر من واد صغير اخر ليلتقي به . تطلع ادموند الى الوادي فاستطاع ان يرى تلين صغيرين ، وكان على يقين تقريباً من انهما الواديان اللذان كانت الساحرة قد لفتت انتباه ادموند اليهما عندما

خرج من عندها متجها نحو عمود الانارة في ذلك اليوم . واعتقد ان موقع قصرها لابد ان يكون بينهما ، على بعد ميل فحسب او اقل من الميل وفكر بحلوى الحلقوم وبتنصيبه ملكا (وسأل نفسه : انني لاتساءل كيف سيتقبل بيتر ذلك ؟) وتدافعت في راسه افكار خبيثة .

قال القندس :

« لقد وصلنا ، ويبدو كأن السيدة القندسة تتوقع قدومنا . سأتقدمكم . وحذار من الانزلاق . »

كانت قمة السد عريضة بما فيه الكفاية للسير عليها . على الرغم من ان هذا ، بالنسبة للانسان ، مكان غير ملائم للسير عليه لانه مغطى بالجليد ، وبرغم ان البركة المتجمدة كانت تساويه في الارتفاع من جهة ، فقد كان هناك منحدر خطير ينحدر نحو النهر من الجهة الاخرى . وقادهم القندس على امتداد هذا الطريق فرادى حتى منتصف الطريق حيث اصبح بأستطاعتهم ان يروا من هناك خط سير مجرى النهر من منبعه حتى مصبه . وقد اصبحوا امام باب البيت عندما وصلوا منتصف الطريق .

قال القندس :

« ها قد جئنا ياسيدة قندسة ، لقد وجدتهم . هؤلاء هم ابناء ادم وبنات حواء . » ــ ودخلوا المنزل كلهم .

كان اول شيء انتبهت له لوسي حالما دخلت هو صوت طنين ، واول شيء رأته كان نظرة حنونة من قندسة عجوز جالسة في الركن وفي فمها خيط وهي تعمل بهمة على ماكنة الخياطة العائدة لها ، وقد كانت الماكنة مصدر الصوت . توقفت عن عملها حالما دخل الصبيان وانتصبت واقفة .

قالت :

« جئتم اخيرا ! » ومدت كفيها المتغضنين . « اخيراً ! لم يخطر ببالي ابداً انني سأعيش حتى ارى هذا اليوم ! البطاطة تغلي في القدر وابريق الشاي يفور واظنك ، يا سيد قندس ، ستجلب لنا سمكاً . »

قال القندس :

« هذا ما سأفعله . » وغادر المنزل (وبرفقته بيتر) ، واجتازا القسم المتجمد من البركة العميقة حيث كان لديه حفرة صغيرة كان

يواظب على ابقائها مفتوحة يوميا بواسطة فأسه . وكانا قد حملا معهما دلوا . قعد القندس عند حافة الفتحة على نهر هادىء (ولم يظهر عليه انه يعير اهتماما للجو البارد جدا) ، وحدق طويلا بداخلها ، وفجأة مد كفه فيها . وفي لمح البصر اختطف سمكة سلمون جميلة . وواصل صيده حتى حصلا على صيد رائع .

كانت الفتاتان تساعدان القندسة في غضون ذلك في اعداد الشاي وتهيئة مائدة الطعام وتقطيع الخبز الى شرائح ووضع اطباق الطعام في الفن لتسخينها وملء دورق كبير من الجعة من اجل القندس من برميل يقع في ركن من المنزل ، واحماء المقلاة كي يحصلوا على شواء ساخن . رأت لوسي ان القندسين لديهما بيت صغير دافىء على الرغم من انه لايماثل كهف السيد تيمنس تماما . فلا توجد فيه كتب ولا صور وتوجد فيه حفر في الجدار شبيه بأسرة السفينة بدلا من اسرة النوم . وتوجد قطع من لحم الخنزير وحزم بصل معلقة في السقف ، وعلى الجدران احذية طويلة ومعاطف واقية من المطر وفؤوس ومقاصيص ومجارف وادوات بناء واوعية لحمل الملاط فيها وشبكة لصيد الطيور واكياس ، وغطاء مائدة خشن على الرغم من نظافته الجيدة .

وما ان بدأت هسهسة المقلاة حتى دخل بيتر والقندس وهما يحملان السمك الذي كان القندس قد شق بطنه ونظفه في الخارج . يمكنك ان تتخيل اية رائحة تنبعث من السمك الطازج ساعة قليه ومدى تلهف الاطفال الجائعون له ليكون ناضجا والى أي حد كانوا يعانون من الجوع قبل ان تقول القندسة .

« لقد اوشكنا على الانتهاء » .

ورفعت سوزان البطاطا من قدر السلق ثم وضعتها في قدر خال لتحمرها بينما كانت لوسي تساعد القندسة في وضع السمك في صحن ، وهكذا في خلال دقائق سحب كل واحد منهم كرسيه (كانت الكراسي كلها الموجودة في بيت القندس بثلاثة أرجل ماعدا الكرسي الخاص بالسيدة القندسة فقد كان كرسيا هزازاً بجوار الموقد) واصبحوا مستعدين لتناول وجبة طعام شهية .

كان هناك دورق من اللبن الدسم للاطفال (كان السيد القندس يفضل الجعة) وقطعة زبدة كبيرة شديدة الاصفرار تتوسط المائدة بحيث يستطيع ان يأخذ منها أي واحد القدر الذي يريد ليدهن بها

البطاطا ، ووجد الاطفال ـ وانا اتفق معهم ٠ انه لم يكن هناك ما هو افضل من سمك نهر اذا أكلته بعد نصف ساعة من صيده ولم يمض على اخراجه من المقلاة نصف دقيقة ٠ وعندما انتهوا من أكل السمك أخرجت القندسة فطيرة كبيرة مدورة رائعة ساخنة من الفرن على نحو غير متوقع ، وفي الوقت نفسه وضعت ابريق الشاي على النار ، حتى اذا فرغوا من تناول الفطيرة وجدوا الشاي قد نضج واصبح جاهزا للشرب ٠ وعندما فرغ كل واحد من شرب قدحه من الشاي ، دفع كرسيه (او كرسيها) الى الخلف ليستطيع ان يستند بظهره الى الحائط ويطلق تنهيدة طويلة علامة الرضا ٠

قال السيد القندس وهو يبعد قدح جعته الفارغ ويسحب قدح شايه اليه :

« والان ، ارجوك ان تخبرنا ما الذي حدث للسيد تيمنس ٠ » والاستمتاع بتدخينه ـ ياه ـ نستطيع الان ان نتباحث ٠ واستطرد قائلا ، وهو ينظر الى النافذة :

« ها هي تثلج ثانية ٠ وهذا أفضل ، لانه يعني انه لن يأتينا ضيف ، واذا كان احدهم قد حاول اللحاق بكم ، فانه لن يعثر على اية آثار ٠ »

الفصل الثامن

ماذا حدث بعد العشاء



قالت لوسي :

« والان ، ارجوك ان تخبرنا ما الذي جرت للسيد تيمنس ٠ »

قال القندس هازاً رأسه :

« اه ، ذلك شيء سيء ـ أمر سيء جداً ، جدا ٠ لقد ألقي القبض عليه بلا ريب من قبل الشرطة ٠ علمت ذلك من طير رأى الحادث ٠ »

سألت لوسي :

« ولكن الى اين أخذوه ؟ »

قال :

« في الواقع كانوا متجهين نحو الشمال الشرقي حيث شوهدوا لآخر مرّة ونحن نعرف كلنا ماذا يعني ذلك ٠ »

قالت سوزان :

« لا ، نحن لانعرف • »

فهز القندس رأسه بحزن شديد وقال :

« معنى ذلك انهم قد اخذوه الى منزلها • »

سألت لوسي بلهفة :

« ولكن ماذا سيفعلون به ياسيد قندس ؟ »

قال القندس :

« حسن ، لا أحد يستطيع الجزم بشيء • ولكن قلّما يدخل أحد ذلك البيت ويخرج منه سالما •• تماثيل • يقولون ان البيت مليء بالتماثيل – في فناء البيت وعلى السلالم وفي الصالة • ناس حوّلتهم الى – (صمت وارتجف) حوّلتهم الى حجر • » •

قالت لوسي :

« ولكن يا سيد قندس ، الا نقدر – أقصد يجب ان نفعل شيئا لانقاذه • هذا مخيف جداً وقد حدث كله بسببي • »

« أنا يا عزيزتي لا أشك في انك تنقذينه اذا استطعت ، ولكن لا أمل لك في دخول البيت برغم انفها والخروج منه حيّة • »

قال بيتر :

« اما من سبيل ؟ أقصد الا نقدر ان نتنكر كشخصية ما ، او نتظاهر بأننا – اوه ، بائعون متجولون أو أيّ شيء – او نراقبها حتى تغادر منزلها – او – اوه ، اللعنة ، لابد من وسيلة • لقد عرّض هذا الفون نفسه للخطر يا سيد قندس وانقذ شقيقتي • ونحن لايمكننا ان نتخلى عنه ليواجه – ليواجه – وحده مصيرا كهذا • »

قال القندس :

« ان محاولتك يا ابن ادم غير مجدية ، أنت بالذات ، لكن مادام اصلان قادما – »

قالت عدة اصوات في وقت واحد :

« اوه ، نعم ! اخبرنا عن اصلان ! » وقد شعروا بذلك الشعور الغريب من جديد – كأنه بشائر الربيع الاولى ، الشبيهة باخبار مفرحة •

سألت سوزن :

« من هو اصلان ؟ »

قال القندس :

« أصلان ؟ عجبا ، ألا تعرفينه ؟ ، انه الملك • سيد الغابة كلها ، ولكنه غير موجود هنا في الغالب ، اظنكم فهمتم معنى كلامي • لم يكن في زمني او زمن والدي ابداً • لكن جاءتنا الاخبار تقول انه قد عاد • وهو الان في نارنيا • وستذعن الملكة البيضاء لارادته • هو ، الذي سينقذ السيد تيمنس ، وليس انتم • »

قال ادمونـد :

« ألن تحوله الى حجر ايضاً ؟ »

اجاب القندس بضحكة مجلجلة :

« باركك الله يا ابن ادم ، اية سذاجة هذه ! تحوّله الى حجر ؟ اذا استطاعت ان تقف على قدميها في وجهه فسيكون ذلك اقصى ماتستطيع ان تفعله ويفوق ما اتوقعه منها • كلا ، كلا • سيضع كل الامور في نصابها كما تقول هذه الابيات من القصيدة القديمة :

سيرجع الحق الى نصابه ، حين يبدو أصلان للعيان
على زئيره ، ستنتهي الاحزان •
عندما يكشر عن اسنانه ، يقضي الشتاء نحبه ،
وعندما يهز لبدته ، ينبثق الربيع من جديد •

« وستفهمون حين ترونه • »

سألت سوزان :

« ولكن هل سنراه ؟ »

قال القندس :

« عجباً يا ابنة حواء ، فمن اجل هذا جئت بكم الى هنا • وعليّ ان اصحبكم الى حيث ستقابلونه • »

سألت لوسي :

« أهو – أهو انسان ؟ »

قال القنـدس :

« أصلان انسان ! كلا بالتأكيد • لقد اخبرتكم انه ملك الغابة وابن الامبراطور العظيم لما وراء البحر • الا تعرفون من هو ملك الحيوان ؟ أصلان أسد – الاسد ، الاسد العظيم • »

قالت سـوزان :

« اووه ! كنت اعتقد انه انسان • أهو – مأمون الجانب ؟ مقابلة أسد تقلقني بالاحرى •

قالت القندسـة :

« هذا ما ستشعرين به ، يا عزيزتي ، بلا ادنى شك ، فمـن يستطيع الوقوف امام أصلان من دون ان تصطك ركبتيه هو شخص فائق الشجاعة او مجرد أحمق ٠ »

قالت لوسي :

« اذن هو غير مأمون الجانب ؟ »

قال القندس :

« مأمون الجانب ؟ الم تسمعوا ما قالته لكم السيدة القندسة ؟ من قال شيئا عن امان ؟ شيء طبيعي ان يكون غير مأمون ٠ ولكنـه طيب ٠ فهو الملك ، كما اخبرتكم ٠ »

قال بيتـر :

« أنا في توق لرؤيته ، حتى لو انتابني شعور بالخـوف عندما تحين لحظة المواجهة ٠ »

قال القندس :

« هذا هو الصواب بعينه ، يا ابن ادم ٠ » وضرب المنضدة بكفه بعنف فاهتزت الاقداح والصحـون التي عليهـا ٠ وهـذا هو الذي ستفعلونه ٠ لقد تلقيت رسالة تقول ان عليكم ملاقاتـه ـ غـداً اذا استطعتم ، عند الطاولة الحجرية ٠

قالت لوسي :

« أين تقع ؟ »

قال القندس :

« سأريكم اياها . فهي تقع اسفل النهر ، والمسافة قصيرة من هنا وسهلة ٠ سآخذكم اليها ٠ »

قالت لوسي :

« ولكن ماذا عن السيد تيمنس في اثناء ذلك ؟ »

قال القندس :

« اسرع طريقة يمكنكم ان تساعدون بها هي لقائكم باصلان ، وحالما يكون معنا ، يمكننا ان نبدأ العمل ٠ وهذا لا يعني اننا لسـنا بحاجة اليكم ايضا ٠ فهناك ابيات اخرى من الشعر القديم تقول :

حينما يجلس ابن ادم بلحمه وعظمه
على عرش كير بارافل ،
سينتهي عهد الشر الى الابد

اذن فالامور في طريقها الان الى الحل تقريباً بعـدما جاء هـو وجئتم أنتم ٠ لقد سمعنا بمجيء اصلان الى هذه النواحي منذ زمـن بعيد ، ولا احد يستطيع ان يقول متـى ٠ الا ان أي واحـد مـن سلالتكم لم يأت الى هنا قط من قبل ٠ »

قال بيتر :

« هذا مالا افهمه ، يا سيد قندس ، أقصد اليست الساحـرة البيضاء من بني البشر ؟ »

قال القندس :

« هي تريد منا ان نصدق هذا ، وهو ذريعتها في مطالبتها بان تكون ملكة ، الا انها ليست ابنة حواء ٠ هي من نسل ابوكم ادم ٠ » (وهنا انحنى القندس) « ان زوجـة ابيكـم ادم الاولى ، يدعـونها [ليليث] ٠ وهي من الجان ٠ هذا اصلها من جهة ، أما عن الجهـة الاخرى فهي تنحدر من سلالة « العمالقة » ٠ كلا ٠ كلا ٠ لا توجـد قطرة دم من بشري واحدة في عروق الساحرة ٠ »

قالت القندسة :

« لهذا السبب يا سيد قندس هي شريرة على الدوام ٠ »

اجـاب :

« تمام الحق ، وربما هناك وجهتا نظر بشأن البشر (لا أقصد الاساءة الى هؤلاء الجماعة) ٠ ولكن لا يوجد رأيان بشأن الاشيـاء القريبة بالانسان وليست بانسان ٠ »

قالت القندسـة :

« لقد عرفت اقزاماً طيبين ٠ »

قال زوجها القندس :

« وأنا كذلك ، مادامت تتكلمين عن هذا الموضوع ٠ انّما هم قلة نادرة ٠ وهم أقل المخلوقات شبها بالبشر ٠ وعلى العموم ، اليك نصيحتي ، حين تلاقين شيئاً سيصبح انسانا ولم يصبح بعد ذلك حتـى الان ٠ او كـان انسـانـا فيمـا مضـى ولـم يعـد الان ، او كـان يجـب ان يكـون ولـم ولـم يكـن ٠ فراقبيـه جيدا ويدك على فأسك ٠ وهذا ما يجعل الساحرة تتصيّد دائماً اي نوع كان من البشر في نارينا ٠ لقد كانت تترقب مجيئكم كل هـذه السنين ، واذا عرفت أين انتم ازداد خطرها ٠ »

سأل بيتر :

« مالنا وهذا الموضوع ؟ »

قال القندس :

« بسبب نبوءة اخرى . هناك عند كيربارافل ـ القلعة التي تقع على شاطىء البحر عند مصب هذا النهر وكان يجب ان تكون عاصمة البلاد هذه كلها لو ان الامور جرت كما ينبغي لها ان تكون ـ وهناك في كير بارافل اربعة عروش . وثمة قول لا يصدقه العقل في تاريخنا مفاده انه عندما يعتلي اثنان من ابناء ادم واثنتان من بنات حواء هذه العروش الاربعة ، فسيكون في هذا نهاية حياة الساحرة لا نهاية حكمها فقط . ولهذا علينا ان نكون حذرين جداً مادمنا قد احرزنا تقدما . فاذا عرفت بأمركم انتم الاربعة ، فان حياتكم لن تساوي هزة من شعر شاربي ! »

اصغى الاطفال بانتباه شديد لحديث القندس حتى انهم لم ينتبهوا لغير ذلك مدة طويلة . ثم اذا بـ [لوسي] تقول فجأة في لحظة الصمت التي اعقبت ملاحظته الاخيرة :

« اقول ـ أين ادموند ؟ »

ساد صمت مخيف ، ثم تساءل كل واحد منهم من الذي رآه آخر مرة ؟ وكم مضى على اختفائه ؟ أهو في الخارج ؟ وعندئذ اندفع الجميع نحو الباب ونظروا الى الخارج . كان الثلج يسقط بكثافة ، واختفت خضرة لون البركة تحت غطاء أبيض كثيف ، حتى لتكاد لا تستطيع ان ترى أياً من الصنفين من موقع البيت الصغير الذي يتوسط السد . وغادروا جميعهم الكهف ، وغاصوا في الثلج الجديد الهش الى ما فوق ركبهم ، وداروا حول البيت في كل تجاه . وكانوا ينادون :

« ادموند ! ادموند ؟ » حتى بحّت اصواتهم . وبدا سقوط الثلج الكثيف كما لو انه قد كتم اصواتهم ولم يكن هناك حتى تردد صدى .

قالت سوزان بينما هم عائدون في قنوط :

« ياله من شيء مخيف تماما ! آه . كم اتمنى لو اننا لم نأت ابداً . »

قال بيتر :

« ماذا سنفعل ، يا سيد قندس ؟ »

قال القندس الذي كان قد احتذى حذاء الثلج في التو :

« نفعل ؟ نفعل ؟ يجب ان نغادر في الحال . وليس لدينا دقيقة نضيعها ! »

فقال بيتر :

في أتجاهات مختلفة . ومن يجده عليه ان يعود الى هنا من فوره و ـ

قال القندس :

« جماعات بحث ، يا ابن ادم ؟ عمّ ؟ »

قال :

« عجبا ، للبحث عن ادموند ، بالطبع ! »

قال القندس :

« لا معنى للبحث عنه »

قالت سوزان :

« ماذا تقصد ياسيد قندس ؟ لا يمكن ان يكون قد ابتعد كثيراً . وعلينا ان نجده ما الذي قصدته بقولك لا فائدة ترجى من البحث ؟ »

قال القندس :

« السبب في عدم فائدة البحث ، هو اننا عرفنا الان اين ذهب ! » حدق فيه كلهم باستغراب شديد .

قال القندس :

« الا تفهمون ؟ لقد ذهب اليها . ذهب الى الساحرة البيضاء . لقد خاننا جميعا . »

قالت سوزان :

« اوه ، انا واثقة ـ اوه ، انا واثقة ـ اوه ، لايمكن ان يكون فعل هذا حقاً . »

قال القندس وهو يحدق طويلا بالاطفال الثلاثة :

« ألا يستطيع ؟ » ومات كل شيء ارادوا قوله فوق شفاههم ، لان كل واحد منهم شعر فجأة على نحو قاطع بانّ ذلك هو بالتحديد ما فعله ادموند .

قال بيتر :

« ولكن هل يعرف الطريق اليها ؟ »

سأل القندس :

« أجاء الى هذا البلد من قبل ؟ اسبق له ان كان هنا وحده ؟ »

قالت لوسي بصوت يقرب من الهمس :

« نعم . كان هنا وحده مع الاسف • »

قـال :

« وهل اخبرك بما فعل وبمن التقى ؟ »

قالت لوسي :

« حسن ، لا ، لم يخبرني • »

قال القندس :

« اذن انتبهوا الى ما أقول ، لقد سبق له ان قابل الساحـــرة البيضاء وانضم الى صفها ، واخبرته اين تسكن • لم أكن أرغب في ان اذكر ذلك من قبل (فهو شقيقكم مهما كان) ولكن في اللحظة التي وقع نظري على شقيقكم هذا قلت في نفسي « غدّار » • لقد كانــت لديه نظرة من كان مع الساحرة وأكل من طعامها • تستطيع دائماً ان تعرفهم من عيونهم لو كنت عشت طويلا في نارينا • شيء ما تفضحه عيونهـم • »

قال بيتر بصوت كاد ان يختنق :

« مع ذلك ، مايزال علينا ان نبحث عنه • فبرغم كل شيء هو شقيقنا ، وان كان في الواقع نذلا صغيراً • فما هو الا طفل • »

قالت القندسة :

« أتذهبون الى منزل الساحرة ؟ الم تفكروا بـأنّ الفرصـــة الوحيدة لنجاته او نجاتكم هي في البقاء بعيداً عنها ؟ »

قالت لوسي :

« ماذا تقصدين ؟ »

قالت القندسة :

« عجباً ، كل الذي تريده هو ان تمسك بكم الاربعة (فهي تفكر على الدوام بتيجان كير باراڤل الاربعة) • ففي اللحظة التي تدخلون فيها منزلها يكون عملها قد بدأ ـ وستكون هناك اربعـة تماثيـل جديدة تضاف الى تماثيلها قبل ان تتاح لكم فرصة للحديث • الا انها ستبقى عليه حياً مادام هو الوحيد الذي كسبته الى صفها ، لانها تريد ان تستخدمه كشرك ، كطعم تمسك عن طريقه بكم ثلاثتكم • »

قالت لوسي نادبة :

« اوه ، الا يستطيع أحد مساعدتنا ؟ »

قال القندس :

« اصلان فقط ، وعلينا مواصلة المسير لملاقـاته • هـذه هي فرصتنا الوحيدة الان • »

قالت القندسة :

« يبدو لي ، يا أصدقائي ، أنّ من المهم ان نعرف بالضبط متى انسل بعيدا • فما يقدر ان يخبرها به يعتمد على مقدار ماســمع • فمثلا ، أكنا بدأنا حديثنا عن أصلان قبل ذهابه ام بعده ؟ فان كان بعده عندئذ نستطيع ان نواصل طريقنا بنجاح ، لانها لاتكون عرفت بعد ان جاء اصلان الى نارينا ، او اننا سنلتقي به ، وسنكون بعيداً عن أعين جواسيسها تماماً بالقدر المطلوب • »

بدأ بيتر يقول :

« لا اذكر انه كان معنا حين بدأنا حديثنا عن اصلان ـ » الا ان لوسي قاطعته قائلة :

« اوه ، نعم ، كان موجود معنا ، الا تذكر انه هو الذي تساءل ان كان بمقدور الساحرة ان تحول اصلان الى حجر ايضاً ؟ »

قال بيتـر :

« اي ، والله ، هذا بالضبط نوع الكلام الذي صـدر عنـــه ايضاً ! »

قال القندس :

« سوء على سوء • السؤال التالي هو : أكان لايزال هنا عندما اخبرتكم ان مكان لقائنا باصلان هو الطاولة الحجرية ؟ »

ولم يعرف احد جواباً لهذا الســؤال ، بالطبع • فواصـــل القندس كلامه :

« لانه ، اذا كان موجوداً ، فسوف تنحدر بالزحافة بذلـــك الاتجاه بسهولة وتقطع علينا الطريق الى الطاولة الحجرية وتمسك بنا ونحن في طريقنا • وفي الحقيقة ستحول بيننا وبين أصلانَ • »

قالت القندسة •

« ولكن ليس هذا هو ما ستفعله اولا ، ليس هذا كما اعرفها ، ففي اللحظة التي سيخبرها ادموند بوجودنا هنا جميعاً سنبادر لمقبض علينا هذه الليلة ، واذا كان قد مضى على ذهابه نصف ساعة فستكون هنا بحدود عشرين دقيقة ٠ »

قال الزوج :

« اصبت ، ياسيدة قندس ، يجب علينا ان نغادر هذا المكان ٠ فلا وقت لدينا نضيعه ٠ »

الفصل التاسع

في بيت الساحرة



والان انتم تريدون ان تعرفوا بالطبع ،اذا حدث لادموند ٠ لقد تناول نصيبه من طعام العشاء ، ولكنه لم يستمتع به حقاً ، لانه كان طول الوقت يفكر بحلوى الحلقوم ــ وما من شيء يفسد كثيراً مذاق طعام اعتيادي جيد مثل تذكر طعام مسحور شرير ٠ وكان قد سمع المحادثة ، ولم تنل رضاه هي الاخرى ٠ لانه كان يفكر باستمرار بتجاهل الاخرين له ومعاملته بجفاء ٠ هم لم يفعلوا ذلك الا ان هذا كان تصوره ومن ثم اصغى اليهم الى ان سمع السيد القندس يخبرهم

عن اصلان وعرف جميع الترتيبات المتعلقة بلقاء اصلان عند الطاولة الحجرية وعندئذ بدأ يتوارى بهدوء كبير خلف الستارة المعلقة على الباب . ذلك لان ذكر أصلان سبّب له شعوراً غامضا ومخيفاً في حين منح الاخرين شعورا غامضا وجميلا .

ولحظة وقام القندس بإعادة ترديد الابيات التي تحكي عن لحم آدم وعظم آدم كان ادموند يدير بهدوء تام مقبض الباب ، وقبل ان يبدأ القندس باخبارهم بأن" الساحرة البيضاء هي في الواقع ليست من البشر ابدا وانما نصفها من الجن ونصفها الاخر من سلالة العمالة كان ادموند قد انسل الى الخارج حيث الثلج واغلق الباب وراءه بحذر شديد .

حتى هذه اللحظة لا تظنوا ان ادموند هو سيء الى هذا الحد وانه يريد حقا ان يتحول اخوته الى حجر . كان يريد حلوى الحلقوم وان يصبح اميرا (وبعدها ملكا) وان يثأر من بيتر عن دعوته ايّاه اما كيف ستعامل الساحرة الاخرين فانه لا يريدها ان تعاملهم بلطف زائد ــ لن تضعهم معه على قدم المساواة بالتاكيد ، بل انه صار يعتقد ، او تظاهر بأنه يعتقد بأنها لن تفعل ما يؤذيهم اذى كبيرا قائلا مع نفسه :

« لان جميع اولئك البشر الذين قالوا بحقها اشياء بغيضة هم اعداؤها وربما كان نصف ما قيل عنها غير صحيح . كانت لطيفة معي ، على اية حال ، اكثر مما كانوا . وأنا احسب انها ملكة شرعية حقاً . ومهما يكن ، فستكون افضل من ذلك الشرير اصلان ! »

في الاقل ، كان ذلك هو العذر الذي تفتق عنه ذهنه لتبرير ما يفعله . لم يكن عذرا جيدا جداً ، على أيّة حال ، ففي اعماق نفسه كان يعرف حقا ان الساحرة البيضاء سيئة وقاسية .

كان أول شيء فطن اليه حين غادر منزل القندس ووجد الثلج يتساقط من حوله ، انه ترك معطفه وراءه . لم تكن ثمة فرصة للعودة وجلب المعطف الان بالطبع . والشيء الثاني الذي لاحظه ان النهار قد اشرف على الانتهاء ، لقد كانت الساعة تشير الى الثالثة تقريباً عندما جلسوا الى مائدة الطعام ونهارات الشتاء معروفة بقصرها . لم يكن قد أدخل ذلك في حسابه ، الا" انه كان عليه ان

يتدبر الامر على حسن وجه . وهكذا رفع ياقة سترته ودلف عبر سطح السد (ومن حسن الحظ لم تعد الارضية زلقة بعدما سقط الثلج) نحو الضفة الاخرى .

كان الطقس رديئا جداً عندما وصل الى الجانب البعيد . وكان نثيث الثلج حوله من الكثافة ما جعله لا يستطيع ان يرى لأبعد من ثلاثة اقدام . وفوق ذلك لم يكن هناك طريق ايضاً . واستمر يجري عبر ركام الثلج الساقط غارقا في أكوام الثلج حيناً ، منزلقا فوق البرك المتجمدة او متعثراً بجذوع الاشجار الساقطة حيناً آخر ، منزلقا نحو ضفاف شديدة الانحدار ، سالخاً جلد ساقيه بالصخور ، الى ان أخذ منه البلل والبرد والرضوض مأخذها . كان الصمت والوحدة مخيفين . اعتقد بأنه كان سيتخلى عن خطته كلها ويعود ادراجه ويعترف ويقيم صداقات مع الاخرين ، لو لم يحدث نفسه .

« عندما اصبح ملك نارنيا فان اول شيء أفعله سيكون تعبيد بعض الطرق الحسنة وطبيعي ان" ماخفف من آلامه انشغاله بالتفكير بأنه سيصبح ملكا وسيفعل كل الاشياء التي تحلو له وقد ابهجه هذا الى حد كبير .

لقد رسم في ذهنه الان طراز القصر الذي سيملكه وعدد السيارات وكل ما يتعلق بالسينما الخاصة به وأين ستسير سكك الحديد الرئيسية وأيّة دعاوي يقيمها على القنادس وأية قوانين سيسن" او اجراءات سيتخذ بحق القنادس والسدود ، وكان يضع اللمسات الاخيرة لبعض المكائد التي تبقي بيتر حيث هو ، حين تغير الطقس . فقد توقف سقوط الثلج اولا . ثم هب هواء فصار البرد زمهريراً . واخيراً ، انقشعت الغيوم وبان القمر . كان القمر بدراً و شع فوق كل ذلك الثلج ، فاذا بكل شيء يتالق كأنه نهار ــ الا" الظلال فكانت مقلقة الى حد ما .

لو لم يسطع القمر في الوقت المناسب لما قدر له ان يجد طريقه حين وصل الى النهر الاخر ــ انتم تذكرون انه رأى (اول وصولهم عند القنادس) نهراً صغيراً يصب في النهر الكبير الذي في الاسفل . لقد وصل الان الى هذا النهر واستدار كي يتبع مجراه صعوداً . الا" ان الوادي الصغير الذي ينحدر منه كان شديد الانحدار صخرياً

اكثر من الوادي الذي اجتازه قبل قليل ، بحيث ما كان ليتدبر امره معه في الظلام ابداً ·

وفوق هذا فقد ابتل وهو يشق طريقه لانه كان عليه ان ينحني لكي يمر من تحت الاغصان فتنزلق اكداس كبيرة من الثلج عنها وتنزل فوق ظهره· وكان كل مرة يحدث هذا فيها يزداد كرها لبيتر ـ كما لو ان كل هذا الذي يحدث له هو ذنب بيتر ·

ـ الا انه في النهاية وصل الى بقعة منبسطة حيث الوادي اكثر اتساعا · وهناك ، في الجانب الاخر من النهر ، وبالا منه تماما ، رأى ما يجب ان يكون بيت الساحرة البيضاء وسط سهل صغير بين تلتين ·

وكان القمر يسطع متألقا اكثر من ذي قبل · كان البيت في الواقع قلعة صغيرة ، يبدو كحشد من ابراج ، ابراج صغيرة تعلوها رؤوس مخروطية الشكل ، حادة مثل الابر · كأنها قلانس مهرجين ضخام او قلانس سحرة · وكانت تلمع في ضوء القمر وتبدو ظلالها الطويلة غريبة على الثلج · وبدأ ادموند يشعر بالخوف من البيت ·

لكن فات أوان التفكير بالعودة الان · فعبر النهر فوق الجليد وتقدم صوب البيت · كان كل شيء ساكنا ، ولا أثر لصوت في أي مكان · ولم تصدر حتى عن قدميه أيّة ضوضاء على الثلج الكثيف الساقط حديثاً · واستمر في سيره الى أمام ، ماراً بركن اثر ركن من البيت مجتازاً قمراً اثر قمرة بحثاً عن الباب · وكان عليه ان ينعطف يميناً باتجاه الطرف البعيد قبل ان يعثر عليه كان باب القلعة طاقاً شاهقا تركت بوابّاته الحديدية الكبيرة مفتوحة على سعتها ·

تسلل ادموند عبر الطاق ونظر منه الى الفناء ، فرأى هناك مشهداً كان ان يوقف نبضات قلبه · فوراء البوابة مباشرة ربض اسد مخيف كأنه يستعد للوثب ، وضوء القمر يسطع فوقه · ووقف ادموند في ظل الطاق ، خائفاً من التقدم وخائفا من العودة ، وركبتاه ترتعشان · وقف هناك طويلا الى صارت اسنانه تصطك من البرد ان لم تكن تصطك من الخوف · كم لبث على هذه الحال ، لا ادري حقا ، ولكنها بالنسبة لادموند كانت تبدو ساعات ·

واخيرا بدأ يتساءل عن السبب الذى يبقي الاسد ثابتاً في مكانه ـ فهو لم يتحرك بوصة واحدة منذ ان وقعت عيناه عليه · وتجرأ ادموند على الاقتراب منه قليلا ، ومحافظاً على البقاء في ظل الطاق بقدر الذي يستطيع · فلاحظ من طريقة وقوف الاسد أنّه ماكان ينظر اليه ابدا (وفكر ادموند : ولكن افترض انه التفت ؟)

في الواقع كان يحدق في شيء آخر ـ وبالتحديد في قزم صغير يقف موليا ظهره له على بعد نحو أربعة اقدام · وفكر ادموند :

ـ اه !! . عندما يثب على القزم ستحين فرصتي للهرب ولكن الاسد لم يتحرك قط ، ولا تحرك القزم ، واخيراً تذكر ادموند ماقال الاخرون عن الساحرة البيضاء تحوّل البشر الى حجر · ربما هو مجرد اسد من حجر · وما ان خطرت هذه الفكرة بباله حتى انتبه الى ان مؤخرة الاسد وقمة رأسه قد غطاهما الثلج · بالتأكيد ما هو الاّ تمثال ! فلا يوجد حيوان حي يترك الثلج يغطيه · عندئذ تجرأ ادموند على التقدم من الاسد ببطء شديد وكان قلبه يدق كما لو كان على وشك الانفجار · وحتى هذه اللحظة لم يجرؤ على لمسه الاّ أنّه مدّ يده اخيرا ، بسرعة كبيرة ولمسه · كان حجراً باردا · لقد كان خائفا من تمثال ليس الاّ !

كان الارتياح الذي شعر به ادموند كبيراً جداً وعلى الرغم من البرد اصبح فجأة يحس بالدفء من قمة رأسه حتى أخمص قدميه ، وفي الوقت نفسه خطرت في ذهنه على ما يبدو فكرة رائعة تماماً · قال في نفسه :

ـ على الارجح ، هذا هو الاسد الكبير اصلان الذي كان الجميع يتحدثون عنه · اذن فهذه نهاية جميع الافكار الجميلة حوله ! من يخاف اصلان ؟ »

وقف هناك ينظر الى الاسد الحجري بشماتة واذا به يقدم على عمل طفولي طائش · لقد اخرج من جيبه عقب قلم رصاص وخربش شاربا فوق شفة الاسد العليا ونظارتين فوق عينيه ثم قال :

« ياه ! يا لاصلان العجوز الاحمق ! كيف تراك قد غدوت حجراً ؟ لقد ظننت نفسك مهيبا للغاية ، اليس كذلك ؟ ولكن بالرغم من الخربشة فان وجه الحيوان الحجري العظيم بقي مخيفاً جداً ، وحزيناً ونبيلا ، متألقا في ضوء القمر ، حتى انّ ادموند لم يجد حقاً أية متعة في السخرية فتحوّل عنه ومضى يعبر الفناء ·

وحالما وصل الى منتصفه رأى عشرات من التماثيل منتشرة هنا وهناك مثلما تنتشر القطع فوق رقعة الشطرنج عندما تبلغ المباراة منتصفها . وكانت هناك ساطيرات(١) حجرية وذئاب حجرية ، ودببة وثعالب وقطط جبال حجرية · وكانت هناك اشكال حجرية جميلة وكأنها نساء الا أنها في حقيقة الامر ارواح شجر · وكان هناك شكل كبير لقنطور(٢) وحصان مجنح ومخلوق حجري افعواني الشكل رأى فيه ادموند تنينا · كانت تبدو بدرجة من الغرابة وهي تقف هناك كأنها كائنات حية تماما ساكنة تماما في ضوء القمر الساطع البارد ، ما يجعل عبور الفناء عملا مخيفا · وانتصب في الوسط تماما شكل ضخم شبيه بانسان لكنه طويل كالشجرة ، له وجه شرس ولحية شعثاء ويمسك بيده اليمنى هراوة ضخمة · وبالرغم من انّ ادموند عرف انه ليس سوى عملاق صخري لاحياة فيه ، فانه فضل ان لا يمرّ من أمامه ·

ثم رأى ضوء معتما يصدر عن مدخل في الطرف البعيد من الساحة فمضى اليه · كانت ثمة درجات سلم حجرية تؤدي الى باب مفتوح · وارتقاها · كان يضطجع عبر العتبة ذئب هائل :

استمر يحدث نفسه :

« حسن ، حسن ، ما هو الاّ ذئب حجري · ولا يستطيع ان يصيبني باذى ، ورفع ساقه كي يعبر فوقه ، فهب المخلوق الضخم وقد انتصب شعر ظهره كله علامة على غضبه · وفتح فمه الاحمر الكبير قائلا بصوت هادر :

« من هناك ؟ من هناك ؟ مكانك ، ايها الغريب ، وقل لي من انت · »

ارتجف ادموند وبالكاد استطاع ان يقول :

« اذا سمحت لي ، ياسيدي ، اسمي ادموند ، وانا ابن ادم الذي قابلته جلالتها في الغابة منذ بضعة ايام وقد جئت حاملا اليها

---

١ ـ الساطير : اله من الهة الغابات ، عند الاغريق ، له ذيل «وآذان» فرس . وكان يتميز بولعه الشديد بالقصف المعربد وبانغماسه في الملذّات ·

٢ ـ القنطور : كائن خرافي نصفه رجل ونصفه فرس ·

اخبارا عن وجود اخوتي في نارينا ـ قرب منزل القندس · هي ـ هي ارادت ان تراهم · »

قال الذئب :

« سأخبر جلالتها . وعليك البقاء عند العتبة اذا كانت حياتك غالية عليك · »

واختفى داخل المنزل ·

بقي ادموند واقفا في مكانه ، واصابعه تؤلمه من البرد وقلبه يدق بعنف في صدره وسرعان ما عاد الذئب الرمادي ، الذي هو [موغريم] رئيس الشرطة السرية للساحرة وقال :

« ادخل ! ادخل ! يا مدلّل الملكة المحظوظ ـ او غير المحظوظ جدا · »

ودخل ادموند ، شديد الحذر لئلا يدوس على مخالب الذئب ·

وجد نفسه داخل قاعة طويلة موحشة فيها اعمدة كثيرة ، ومملوءة كالساحة بالتماثيل · كان اقربها الى الباب فون صغير بوجه ذي سيماء حزينة جدا ، ولم يجرأ ادموند ان يتساءل ان كان من المحتمل ان يكون هذا صديق لوسي · وكان مصدر الضوء الوحيد قنديل قريب من مكان جلوس الساحرة البيضاء ·

واندفع ادموند بلهفة الى الامام وقال :

« لقد جئت ، يا صاحبة الجلالة · »

قالت الملكة بصوت مرعب :

« كيف تجرأت وحضرت وحدك ؟ الم اطلب منك ان تحضر الاخرين معك ؟ »

قال ادموند :

« ارجوك يا صاحبة الجلالة ، لقد بذلت قصارى جهدي · وقد احضرتهم الى مكان قريب جدا · وهم موجودون في المنزل الصغير الكائن فوق السور في اعالي النهر ـ برفقة القندس وزوجته · »

ارتسمت ببطء ابتسامة شريرة على وجه الساحرة وسألت :

« أهذا كل ما لديك من اخبار ؟ »

قال ادموند :

« لا يا صاحبة الجلالة · »

ومضى يحكي كل ما سمعه قبل ان يتسلل من منزل القندسين ·

صاحت الملكـة :

« ماذا ! أصلان ؟ اصلان ! اصحيح هذا ؟ اذا اكتشفت انـك تكذب علي _ »

قال ادموند متلعثماً :

« ارجوك _ انما انا انقل اميك ما قالوا ٠ »

ولكن الملكة، التي لم تعد تصغي لما يقول ، صفقت بيديها ، وفي الحو ظهر القزم نفسه الذي راه ادموند معها من قبل ٠

امرت الساحرة :

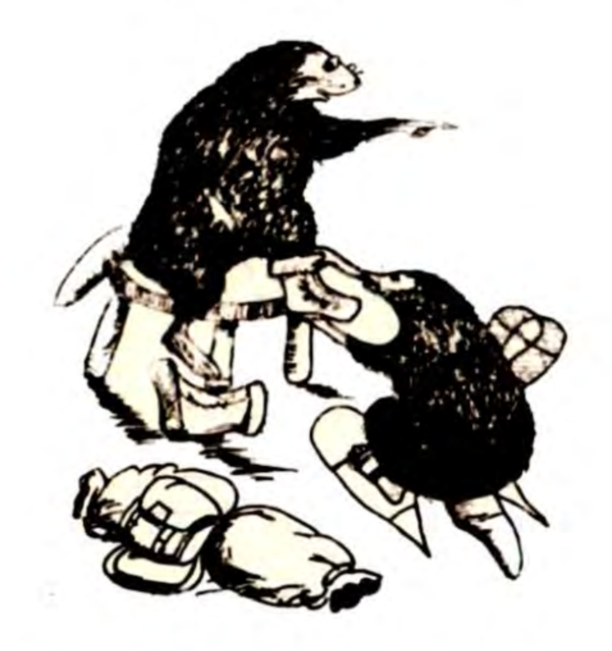
« هيء زحافتنا(١) ، وليكن اللجام من دون اجراس ٠ »

---

١ _ ضمير الجمع هنا كفاية عن الصيغة التي يتحدث بها الملوك ٠

الفصل العاشـر

السـحر يبدأ بالزوال



عليـنا الان ان نعود الى القندسة والاطفال الثلاثة ٠ وحـالما قال القندس :

« ليس لدينا وقت نضيعه ٠ »

اخذ كل طفل يرتدي معطفه ماعدا القندسة ، التي بدأت ترفع [الاكياس] وتضعها على المائدة وقالت :

« والان ، يا سيد قندس ، هات قطعة لحم الخنزية تلك ، وها هو كيس الشاي ، وهذا هو السكر ، وبعض علب الثقاب • حبذا لو تناول احدكم رغيفين او ثلاثة من القدر الذي في الزاوية هناك •

هتفت سوزان :

« ماذا تفعلين يا سيدة قندسة ؟ »

قال القندس بهدوء تام :

« تحزم كيسا من الزاد لكل واحد منا ، يا عزيزتي فانت لم تفكري بأننا سنقوم برحلة من دون ان نأخذ معنا ما نأكله ، أليس كذلك ؟ »

قالت سوزان وهي تزرّر ياقة معطفها :

« ولكن ليس لدينا وقت ! فقد تصل في أيّة دقيقة • »

قال القندس مقاطعاً :

« هذا ما أقول • »

قالت زوجته :

« هيا تحركوا كلكم ، وانت يا سيد قندس فكر مليا • فهي لايمكن ان تكون هنا قبل مضي ربع ساعة في الاقل • »

قال بيتر :

« اذا كان علينا ان نصل الى الطاولة الحجرية قبلها ، الا ينبغي علينا ان ننطلق باقصى سرعة نستطيع ؟ »

قالت سوزان :

« تذكري يا سيدة قندسة ، انها حين تصل الى هنا وتكتشف ذهابنا فسوف تنطلق باقصى سرعة • »

قالت القندسة :

« هذا ما ستفعله ، ولكننا لا نستطيع ان نصل قبلها هناك مهما بذلنا من جهد ، لانها ستكون فوق زحافة ونحن سنسير على اقدامنا • »

قالت سوزان :

« اذن ــ لا آمل لنا ؟ »

قالت القندسة :

« لا تولولي • الحالة صعبة ، ولكن خذوا ستة مناديل نظيفة من ذلك الدرج • بالطبع لدينا امل • نحن لا نستطيع ان نصل الى

هناك قبلها،الا اننا نستطيع ان نسلك طرقاً لا تتوقعها ومن المحتمل ان ننجح • »

قال زوجها :

« هذا صحيح جدا ، يا سيدة قندسة ، ولكن المفروض ان نكون غادرنا هذا المكان الآن • »

قالت زوجته :

« لا تولول انت ايضاً ، يا سيد قندس • كفى • هذا افضل • توجد اربعة اكياس واصغرها من نصيب اصغرنا • واستطردت وهي تنظر الى لوسي :

« اياك أعني ، يا عزيزتي • »

قالت لوسي :

« اوه ، هيا أسرعي ، أرجوك • »

اجابت القندسة اخيراً ، داعية زوجها لمساعدتها في انتعال حذاء الثلج :

« حسن ، أنا آكاد ان أكون مستعدة الان ، واظن ان ماكنة الخياطة أثقل من ان نأخذها معنا • »

قال القندس :

« اجل ، هي كذلك ، ثقيلة جدا الى حد كبير • وانا افترض انك لا تعتقدين انبمستطاعك استعمالها ونحن نركض هاربين • »

قالت القندسة :

« انا لا اتحمل فكرة ان تعبث بها تلك الساحرة ، فهي أما وان تكسرها او تسرقها وما هذا بغريب • »

قال الاطفال الثلاثة :

« اوه ، نرجوك ، نرجوك ، نرجوك ، أسرعي ! »

وهكذا خرج الجميع اخيرا واغلق القندس الباب وقال :

« سيؤخرها هذا بعض الشيء • »

وبدأوا رحلتهم ، وكل واحد منهم يحمل كيسه على كتفه •

وحين بدأوا رحلتهم توقف سقوط الثلج وبان القمر • ساروا فرادي ــ يتقدمهم القندس ، ثم لوسي ، ثم بيتر ، ثم سوزان وكانت القندسة في المؤخرة • سار بهم القندس عبر السد الى ضفة النهر اليمنى وبعدئذ على امتداد ممر وعر جداً بين الاشجار بمحاذاة

ضفة النهر تماما . وكان جانبا الوادي ، المتالقان في ضوء القمر . يرتفعان شاهقين فوقهم من كلا الجانبين .

قال القندس :

« من الافضل ان نلبث هنا في الاسفل بقدر ما نستطيع . فهي ستضطرّ الى البقاء فوق ، فانت لا تستطيع النزول بالزحافة الى هنا . »

كان سيكون مشهداً جميلا جداً لو انّك نظرت اليه من خلال النافذة وانت جالس على كرسي ذي مسندين مريح . وقد استمتعت لوسي به في البداية بصرف النظر عما هو عليه . ولكن لما استمروا يسيرون ويسيرون ـ ويسيرون ـ والكيس الذي تحمله اخذ يزداد ثقلا ، بدأت تتساءل كيف ستتمكن من الصمود حتى النهاية . وكفت عن النظر الى روعة النهر المتجمد الذي يبهر العين بشلالاته الجليدية فوق قمم الاشجار المكسوة بالثلج والقمر البدر والنجوم التي لا تعد ولا تحصى وكل الذي استطاعت ان تراقبه هي سيقان القندس الصغيرة وهو يمشي امامها بخطى ثابتة سريعة في الثلج كأنها لاتنوي ان تتوقف عن السير ابداً . ثم اختفى القمر وبدأ الثلج يسقط من جديد .

واخيرا بلغ التعب بلوسي حداً كادت معه ان تنام وهي تسير عندما اكتشفت فجأة ان القندس قد تحوّل مبتعداً عن ضفة النهر الى اليمين وسار بهم على سفح شديد الانحدار نحو الادغال الكثيفة . وكانت قد استيقظت تماماً حين وجدت ان القندس قد اختفى في حفرة صغيرة في الضفة مخفية تحت الشجيرات تقريبا فلا تراها حتى تقف فوقها . والحق انها لحظة ادركت ما حدث . كان ذيله الصغير هو الشيء الوحيد الظاهر منه .

وانحنت لوسي من فورها وزحفت خلفه . ثم سمعت خلفها ضوضاء تدافع مناكب وطنين ولهاث لحظة كان خمستهم في داخلها .

جاء صوت بيتر يبدو متعبا باهتا في الظلمة :

« أيّ مكان هذا ؟ » (وأنا أمل ان تدركوا ما أعني بصوت يبدو باهتاً) .

قال القندس :

« هذا مكان اختباء قديم للقنادس في الظروف العصيبة ، وهو

سري للغاية . ليس مكانا مريحا ولكن لا بد لنا من ان ننام بضع ساعات . »

قالت القندسة :

« لو لم تكونوا في مثل ذلك الهرج والمرج عندما بدأنا رحلتنا ، لكنت قد جلبت بعض الوسائد . »

وفكرت لوسي ـ انه ليس كهفاً جيداً مثل كهف السيد تيمنس فما هو الاّ حفرة في الارض ولكنها حفرة ترابية جافة . وكانت صغيرة جداً ولهذا عندما اضطجعوا اصبحوا كصرة من فرو وثياب ، شاعرين بمزيد من الدفء على ما نالوه من دفء اثناء سيرهم الطويل . ليت ارضية الكهف اكثر نعومة ! ثم ناولتهم القندسة ، في الظلام قارورة صغيرة شربوا منها شيئا ـ يجعل الواحد منهم يسعل قليلا ويدمدم ، شيئا يلسع الحنجرة ، الا انه يجعلك تشعر بدفء مريح بعد ان تبتلعه ـ ونام الجميع في الحال .

حين نهضت لوسي تراءى لها انها لم تكن سوى لحظة (وان كانت في حقيقة الحال ساعات وساعات) شاعرة ببرد خفيف وباطرافها متيبسة على نحو مخيف وفكرت الى اي حد ترغب بحمام ساخن . واحست بحزمة شعر طويل تدغدغ وجنتها ورأت ضوء الفجر البارد يتسلل من خلال مدخل الكهف . ولكنها بعد ذلك مباشرة استيقظت تماما ، وكذلك الاخرون . وفي الحقيقة نهض الجميع بافواه وعيون مفتوحة على سعتها مصغين السمع الى صوت هو الصوت الذي ما انفكوا يفكرون به (واحيانا كان يخيل لهم انهم سمعوه) اثناء مسيرتهم في الليلة الماضية . كان صوت رنين اجراس .

وما ان سمع القندس الصوت حتى اندفع الى خارج الكهف كالبرق . ربما ظننتم ، مثلما ظنت لوسي للخطة ، انه تصرف بحماقة ؟ انما الذي فعله هو عين العقل . كان يعرف انه يستطيع الزحف الى اعلى الضفة بين الشجيرات من دون ان يراه احد ، وكان يريد ، فضلا عن ذلك كله ، أن يرى في اي تجاه ذهبت زحافة الساحرة . وبقي الاخرون في الكهف ينتظرون ويتساءلون . انتظروا قرابة خمس دقائق . ثم سمعوا شيئا اخافهم الى حد كبير . سمعوا اصواتا . وفكرت لوسي :

« آه ، لقد رأته . وامسكت به ! »

وكانت مفاجأة كبيرة جدا لهم عندما سمعوا بعد قليل صوت القندس ينادي عليهم من خارج الكهف صائحا :

« كل شيء على مايرام ، هيا اخرجي ، ياسيدة قندسة ، هيا اخرجوا يا ابناء ادم وحواء٠كل شيءعلى مايرام٠ليست هي* ٠ (كانت تلك جملة سيئة من ناحية القواعد) ، ولكن تلك هي الطريقة التي يتكلم فيها القنادس عندما يكونوا منفعلين ، اقصد ، في نارنيا ، ففي عالمنا هم عادة لا يتكلمون ابدا ٠

وهكذا خرجت القندسة والاطفال من الكهف دفعة واحدة ، وعيونهم مبهورة بفعل ضوء النهار ، ملوثين بالتراب ، وروائحهم عفنة جدا وهندامهم غير منتظم وشعرهم اشعث وأثر النوم في عيونهم ٠

وصاح القندس ، وهو يكاد يرقص فرحا :

« تعالوا ! تعالوا وانظروا ! هذه ضربة موجعة للساحرة ! يبدو كان سلطانها بدأ ينهار ٠

قال بيتر لاهثا وهم يتسلقون سفح الوادي العالي :

« ماذا تقصد ؟ »

اجاب القندس :

« الم أخبركم ، انها جعلت الدنيا شتاء دائما بلا اعياد ميلاد ابدا ؟ الم اخبركم ؟ حسن ، تعالوا وانظروا ! »

عندئذ صعد الجميع الى القمة ورأوا !

كانت هناك زحافة ، ووعول في لجامها اجراس ٠ ولكنها اكبر بكثير من وعول زحافة الساحرة ، ولونها بني وليس ابيض ٠ وكان يجلس في الزحافة شخص عرفه الكل حال ما وقع نظرهم عليه ٠ كان رجلا ضخما يرتدي معطفا احمر زاهيا (زاهيا مثل ثمر التوت) وقلنسوة مبطنة بفراء وله لحية كبيرة لونها ابيض كزبد شلال سقط على صدره ٠ لقد عرفه الجميع لانك ، وان كنت لا ترى أناسا مثله الا في نارنيا ، فانك ترى صورهم والناس يتحدثون عنهم حتى في عالمنا ـ العالم القائم عند هذا الجانب من باب خزانة الملابس ٠ الا انك عندما

* ان الجملة مغلوطة من حيث قواعد النحو الانكليزية لانه استخدم ضمير حي في حالة المفعول ، في حين يتوجب عليه ان يأتي بضمير الفاعل

تراهم في نارنيا فالحال مختلف تماما ٠ ان بعض صور بابانوئيل في عالمنا تظهره مرحا ومسليا ٠ الا ان الاطفال الان وهم يرونه فعلا لا يجدونه هكذا تماما لقد كان ضخما جدا ، ومسرورا جدا ، وحقيقيا جدا ، بما جعلهم يلبثون ساكنين تماما ٠ لقد شعروا بسرور كبير ، ولكن بالخشوع ايضا ٠

قال :

« ها قد جئت اخيرا ، لقد ابعدتني مدة طويلة ، ولكنني في النهاية عدت ٠ أصلان يتقدم ٠ وسحر الساحرة يضعف ٠ »

وشعرت لوسي برعشة فرح عميقة تجرى في عروقها لا تشعرون بها الا اذا كنتم بمثل هذا الخشوع والسكون ٠

قال بابانوئيل :

« والان ، في ما يخص هداياكم ٠ ثمة ماكنة خياطة جديدة للسيدة القندسة سأضعها في منزلك اثناء مروري به ٠ »

انحنت القندسة باحترام وقالت :

« اذا اذنت لي ، ياسيدي ، ان المنزل مغلق ٠ »

قال بابانوئيل :

« الاقفال والرتاجات لا تعنى شيئا بالنسبة لي ٠ واما هديتك ، ياسيد قندس ، فعندما تعود الى المنزل ستجد سدك قد اكتمل ورمم وتوقفت جميع الرشوحات وزود ببوابة سد جديدة ٠ »

سر القندس كثيرا ففتح فمه على سعته واكتشف انه غير قادر على قول اي شيء ٠

قال بابا نوئيل :

« بيتر ، يا ابن ادم ٠ »

قال بيتر :

« نعم ، يا سيدي ٠ »

كان الجواب :

« هذه هداياك ، وهي عدد وليست دمى ٠ ربما يكون قد حان الاوان لاستعمالها ٠ فأحسن استعمالها ٠

وبهذه الكلمات ناول بيتر ترسا وسيفا كان لون الترس فضيا محفورا عليه أسد احمر في وضع تحفز ، زاه مثل ثمرة توت بري ناضجة لحظة قطفها ٠ وكان مقبض السيف من ذهب وله غمد وحمالة سيف

وجميع لوازمه . وكان فعلا بالقياس والوزن اللذين يمكنان بيتر من استعماله . تسلم بيتر هذه الهدايا بصمت وخشوع ، اذ شعر بأنها هدايا من نوع جاد جدا .

قال بابا نوئيل لسوزان وهو يناولها قوسا وكنانة ممتلئة بالسهام وبوقا عاجيا صغيرا :

« سوزان ، يا ابنة حواء ، هذه لك . وعليك ان لا تستعملي القوس الا عند الضرورةالقصوى ، فانا لا أريدك ان تخوضي معركة . انه لا يخطىء . وعندما تضعين هذا البوق على شفتيك وتنفخين فيه ، فان مساعدة من نوع ما ستأتيك في أي مكان تكونين فيه . »

وقال في الختام :

« لوسي ، يا ابنة حواء . » .

وتقدمت لوسي . واعطاها قنينة صغيرة تبدو كالزجاج (لكن الناس قالوا بعدئذ انها مصنوعة من ماس) وخنجرا صغيرا وقال :

« في هذه القنينة شراب ودي صنع من عصارة زهرة نارية تنمو في جبال الشمس . اذا تعرضت انت أو اي واحد من اصدقائك لاذى ، فان بضع قطرات منه تشفيهم . والخنجر لتدافعي به عن نفسك وقت الشدة . لانك أنت ايضا يجب ان لا تدخلي المعركة . »

قالت لوسي :

« لماذا ، ياسيدي ؟ اعتقد ـ لا أدري ـ ولكنني اعتقد بأني امتلك من الشجاعة ما فيه الكفاية . »

قـــال :

« ليس هذا هو القصد . ولكن المعارك تغدو قبيحة عندما تتقاتل النساء . والان ، ـ وهنا تحول الى المرح قليلا فجأة ـ هنا شيء لكم جميعا يناسب اللحظة ! واخرج صينية كبيرة (اظن من الكيس الكبير الذي يحمله فوق ظهره ولكن احدا لم يره فعلا وهو يخرجها) عليها خمسة اقداح وخمسة صحون ، ووعاء فيه قطع سكر ، وقارورة حليب دسم ، وابريق شاي كبير جدا فائر يتصاعد منه البخار . ثم هتف :

« عيد ميلاد سعيد ! يحيا الملك الحقيقي ! » وفرقع سوطه ، وبلمح البصر اختفى هو ووعوله وزحافته عن الانظار قبل ان يلحظ أي واحد انطلاقتهم .

كان بيتر قد استل سيفه من غمده ليراه القندس حين قالت القندسة :

« والان ، والان ..! لا تقفوا تتحدثون هكذا حتى يبرد الشاي. كعادة الرجال . تعالوا وساعدوا في حمل الصينية الى الاسفل لكي تتناول فطورنا . أية رحمة جعلتني افكر بجلب سكين الخبز .

وهكذا انحدروا من الجرف العالي وعادوا الى الكهف ، وقطع القندس بعض الخبز وجهز منه شطائر وصبت القندسة الشاي في الاقداح واستمتعوا جميعا ولكن استمتاعهم لم يطل فقد قال القندس :

« لقد حان وقت رحيلنا . »

الفصل الحادى عشر

أصلان يقتــرب



في غضون ذلك كان ادموند قد مضّى وقتاً مخيباً للامال تماماً. وعندما ذهب القزم لتهيئة الزحافة توقع ان تبدأ الساحرة بمعاملته

معاملة طيبة كما فعلت اثناء لقائهما الاول . ولكنها لم تتفوه بكلمة ابداً . وعندما استجمع ادموند شجاعته اخيراً ليقول :

« ارجوك يا صاحبة الجلالة ، أأستطيع ان أحصل على بعض حلوى الحلقوم ؟ »

اجابت :

« أنت ـ أنت ـ قلت ـ ، صه ، يا احمق ! » ثم بدا كما لو انها غيرت رأيها وقالت ، كأنها تخاطب نفسها :

« ومع ذلك لافائدة من ترك الطفل يغمى عليه في الطريق . »

ومرة أخرى صفقت بيديها فظهر قزم آخر .

قالت :

« احضر للمخلوق البشري طعاماً وشراباً . »

فذهب القزم وعاد من فوره حاملا طاسة حديدية فيها قليل من الماء وصحن حديدي فيه قطعة خبز جافة . واذا وضعهما على الارض بجانب ادموند كشّر تكشيرة مثيرة للاشمئزاز وقال :

« حلوى الحلقوم للامير الصغير . ها ! ها ! ها ! »

قال ادموند بتجهم :

« ابعدها ، لا أريد خبزاً يابساً . »

ولكن الساحرة التفتت اليه فجأة بوجه يحمل تعبيراً مخيفاً جعل ادموند يعتذر ويبدأ بقضم الخبز الذي وحده سيء المذاق . بحيث كان يجد صعوبة في ابتلاعه .

قالت الساحرة :

« افرح به كثيرا لانك قد لا تذوق الخبز ثانية . »

وبينما هو لايزال يمضغ عاد القزم الاول وأعلن ان الزحافة اصبحت مهيأة . نهضت الساحرة البيضاء وأمرت ادموند بمرافقتها وخرجت . كان الثلج يتساقط من جديد عندما وصلا الفناء ، ولكنها لم تعر ذلك التفاتاً وطلبت من ادموند ان يجلس الى جانبها في الزحافة . ولكن قبل ان ينطلقا نادت موجريم فجاء يتوثب مثل كلب ضخم الى جانب الزحافة .

قالت الساحرة :

« خذ معك أسرع ذئابك واذهب في الحال الى بيت القنادس ، واقتل كل من تجده هناك . فاذا كانوا قد غادروا فانطلق باقصى سرعة الى الطاولة الحجرية . ولكن لاتدع احداً يراك . واختبىء

هناك الى ان أصل . وسأقطع انا في اثناء ذلك اميالا كثيرة باتجاه الغرب لاعثر على مكان استطيع منه عبور النهر . قد تدرك هؤلاء البشر قبل ان يصلوا الى الطاولة الحجرية . انت تعرف ماذا ستفعل بهم اذا عثرت عليهم ! »

عوى الذئب قائلا :

« السمع والطاعة ، يا مليكتي . »

وانطلق في الحال في الثلج والظلمة ، بمثل السرعة التي يعدو فيها الفرس . وفي خلال دقائق نادى على ذئب اخر وصحبه معه باتجاه السد وتشمما رائحة بيت القنادس . ولكنهما بالطبع وجداه خاليا . لو ان الليل بقي صحواً لاصبح شيئاً فظيعاً بالنسبة للقنادسين والاطفال ، اذ كان هذا سيمكن الذئبين من تقصّي اثرهم ــ ولكان لحقا بهم ، من كل بد ، قبل ان يدخلوا الكهف . ولكن سقوط الثلج ثانيه أمات رائحة الاثر وغطّى حتى آثار الاقدام .

في ذلك الوقت ضرب القزم بسوطه الوعول منطلقاً بالساحرة وادموند عبر طاق البوابة الى قلب الظلمة والبرد . كانت هذه رحلة مخيفة بالنسبة لادموند الذي لم يكن لديه معطف . وقبل ان يمضي ربع ساعة على ذهابهما اصبح الجزء الامامي منه مغطى بالثلج ــ وتوقف عن نفض الثلج لانه ، ما ان ينتهي من نفضه ، حتى يتجمع مكانه ثلج جديد ، وكان في غاية التعب . وسرعان ما ابتل حتى جلده . ولكم كانت حاله بائسة !

ولم يكن هناك مايشير الى انّ الساحرة تنوي تنصيبه ملكاً . وغدت كل الاشياء التي قالها ليقنع بها نفسه من انها طيبة ولطيفة وان جانبها هو جانب الحق ، سخيفة الان ، انه على استعداد للتضحية بأيّ شيء من أجل ان يقابل الاخرين في هذه اللحظة ــ حتى بيتر ! ان الوسيلة الوحيدة لجلب الراحة لنفسه هي في محاولة الاعتقاد بأنّ المسألة كلّها حلم يستطيع الاستيقاظ منه في أية لحظة . واذا مضوا في طريقهم ، ساعة بعد ساعة ، اصبحت تبدو له فعلا مثل حلم .

لقد استغرق وقتاً أطول من أن أقدر على وصفه حتى لو كتبت عنه صفحات وصفحات . ولكنني سأؤجل الموضوع الى حين ان يتوقف سقوط الثلج ويطلع الصباح وهم منطلقون في وضح النهار . كانوا ما يزالون ماضين في طريقهم ... لا صوت يسمع سوى

همسة الثلج المضجرة وصرير لجام الوعول . ثم اذا بالساحرة تقول اخيراً :

« ماذا لدينا هنا ؟ توقفوا ! » وتوقفوا .

لكم أمل ادموند ان تقول شيئاً بشأن طعام الافطار ! الاّ انها توقفت لسبب مختلف تماماً . فعلى بعد خطوات قليلة عند قاعدة شجرة اجتمع حشد بهيج ، سنجاب وزوجته واطفالهما وساطيران وقزم وثعلب عجوز جالسون على كراسي مدوّرة حول مائدة . لم يستطع ادموند ان يرى ما كانوا يأكلون ، ولكن رائحة الطعام كانت لذيذة وتراءى له ان هناك شجرة عيد ميلاد مزّينة ، ورأى بما لايقبل الشك شيئاً يشبه الفطائر المحشوة بالخوخ . وما ان وقفت الزحافة حتى نهض الثعلب الذي كان اكبر الحضور سناً على ما يظهر ، رافعاً قدحا بكفه الايمن كانه يريد ان يقول شيئاً . ولكن حين رأى الحشد الزحافة توقفت ومن كان فيها ، تلاشى الفرح كله من وجوههم .

وتوقف السنجاب الاب عن تناول الطعام وشوكته في منتصف طريقها الى فمه وتوقف احد الساطيرين وشوكته في فمه تماماً . وصرخ اطفال السنجابين صراخاً طويلا حاداً من الرعب .

سألت الملكة الساحرة :

« ما معنى هذا ؟ » فلم يجب أحد

قالت ثانية :

« تكلم ، يا جرذ ! ، ام تريد من قزمي ان يعثر لك على لسان بسوطه ؟ ما معنى كل هذا النهم ، هذا التبذير ، هذا الانغماس بالملذات ؟ من اين لكم كل هذه الاشياء ؟ »

قال الثعلب :

« ارجوك ، يا صاحبة الجلالة . لقد أعطيت لنا . وهل لي أن اتجرأ كثيراً فاشرب نخب صحة جلالتك ــ ؟ »

قالت الساحرة :

« من اعطاها لكم ؟ »

اجاب الثعلب متلعثماً :

« با ــ با ــ بابا نوئيل . »

هدرت الساحرة ، وهي تقفز من الزحافة وتخطو بضع خطوات من الحيوانات المرعوبة :

« ماذا ؟ هو لم يكن هنا ! لا يمكن ان يكون قد جاء الى هنا ! يا لوقاحتك – ولكن لا · قل انك كنت تكذب وستنال الصفع ·

فقد احد السناجب زمامه في تلك اللحظة تماماً وافشى السر ضاربا المنضدة بملعقته وقال :

« كان هنا – كان هنا – كان هنا ! »

ورأى ادموند الساحرة تعض شفتيها حتى ظهرت قطرة دم على وجنتيها البيضاء · ثم رفعت صولجانها · فصرخ ادموند :

« اوه . لا تفعلي ، لا تفعلي ، لا تفعلي ارجوك · »

وبينما هو يصرخ حركت صولجانها فاذا بالموجودين في الحفلة البهيجة يتحولون الى تماثيل (احدهم توقفت شوكته الحجرية في منتصف المسافة الى فمه الحجري) تحلّقت حول الطاولة حيث صحون حجرية وفطائر من الخوخ الحجري ·

وبينما كانت الساحرة تصعد الى الزحافة صفعت ادموند صفعة مذهلة على وجهه وقالت :

« أمّا عنك ، وليعلمك هذا ان تطلب رأفة بالجواسيس والخونة · هيا اصعد ! »

وشعر ادموند لاول مرة في هذه القصة بالاسف من اجل غيره عدا نفسه · لكم هو محزن ان تفكر بتلك الاشكال الحجرية الصغيرة جالسة هناك كل تلك الايام الموحشة والليالي المظلمة ، سنة بعد سنة · الى ان تنمو عليها الطحالب وتتآكل حتى وجوهها في نهاية الامر ·

انطلقوا الان بسرعة كبيرة من جديد · وسرعان ما لاحظ ادموند ان الثلج ، الذي كان يتطاير عليهم وهم مندفعون غدا أكثر رطوبة من الليلة السابقة · ولاحظ في الوقت نفسه ان احساسه بالبرد اصبح اقل بكثير من السابق · واصبح الجو مضبباً · بل انه صار يزداد دفئا وضبابية مع مرور الوقت · اما الزحافة فلم تعد لها سرعتها كما كانت في السابق · وقد عزا ذلك في بداية الامر الى ان الوعول قد تعبت ، ولكنه سرعان ما راى ان ذلك لم يكن هو السبب الحقيقي · اهتزت الزحافة ، وانزلقت واستمرت ترتج كما لو انها تسير فوق احجار · وبالرغم من انهيال القزم بالسوط على الوعول المسكينة صارت الزحافة تبطيء أكثر فأكثر · وبدا ان هناك ضجة

غريبة من حولهم ، ولكن ضوضاء حركة الزحافة وارتطامها بالارض وصراخ القزم على الوعول منعا ادموند من معرفة كنهها ، الى ان علقت الزحافة بشدة فجأة وتوقفت عن الحركة تماماً · وحين حدث ذلك سادت لحظة صمت · استطاع ادموند اخيراً خلالها ان يصغي للضوضاء الاخرى كما ينبغي · ضجة فيها صوت الحفيف واللغط عذبة غريبة ، ومع ذلك فهي ليست غريبة جداً ، لانه سمعها من قبل – لو يستطيع فقط ان يتذكر أين ! ثم تذكر كل شيء في الحال · كان صوت ماء يجري · وبالرغم من انهم لم يروه فقد كان يأتيهم من كل صوب ، صوت جداول يخشخش ماؤها ويغمغم ويتلاطم بل ويهدر عن بعد · وانتفض قلبه انتفاضة كبيرة (رغم انه لم يعرف لذلك سبباً) حين أدرك انّ أيّام الانجماد قد ولت · ورأى عن كثب الثلج الذائب ينزل قطرة – قطرة – قطرة من اغصان الاشجار كلها · وبعدها وبينما كان ينظر الى شجرة رأى كتلة كبيرة من ثلج تنزلق عنها · ورأى لاول مرة منذ وصوله الى نارنيا الخضرة الداكنة لشجرة « تنّوب »(*) · ولم يكن لديه وقت ليستمع او يراقب اكثر ، لأن الساحرة قالت :

« لاتجلس محملقاً ، أيّها الاحمق ! انزل وساعدنا · »

كان على ادموند ان يتمثل للامر بالطبع · فنزل الى الثلج – ولكنه في الواقع كان نصف ذائب ليس الاّ – وبدأ في مساعدة القزم لاخراج الزحافة من حفرة الطين التي نزلت فيها ·

واخيراً تمكنا من اخراج الزحافة وانهال القزم على الوعول بالسوط بمنتهى القسوة لتجعلها تتحرك مرة اخرى ، فسارت بالزحافة مسافة قليلة ، وبدأ الثلج يذوب حقا على نحو سريع واخذت تظهر نتف من العشب الاخضر في كل تجاه ·

انت لاتستطيع ان تتصور كم يشعر المرء بالراحة لرؤية هذه النتف الخضراء بعد شتاء جليدي أبدي ، الاّ اذا بقيت في عالم الثلج مدة طويلة مثل ادموند · ثم توقفت الزحافة مرة اخرى ·

★ التنّوب : شجر ينمو في المناطق الباردة ويشبه شجر الارز وغير من الاشجار ذات الاوراق الابرية

قال القزم :

« لافائدة ترجى ، يا صاحبة الجلالة ، لا يمكننا ان ننزلق في هذا الثلج الذائب · »

قالت الساحرة :

« علينا ان نمشي اذن · »

ودمدم القزم متذمراً :

« لن نلحق بهم سيراً على الاقدام ، ولاسيما انهم مبكرين · »

قالت الساحرة :

« أأنت مستشاري أم عبدي ؟ افعل ما أُمرت به شد وثاق المخلوق البشري الى الخلف وامسك بطرف الحبل · وخذ سوطك · واقطع لجام الوعول ، وستجد طريقها للمنزل · »

امتثل القزم للامر ، وبعد دقائق قليلة وجد ادموند نفسه مجبراً على السير باقصى سرعة يقدر عليها ويداه موثوقتان خلف ظهره · واستمر السير في الثلج الذائب والطين والحشيش المبتل ببطء ، وفي كل مرة كان يزل فيها كان القزم يلعنه وأحياناً يضربه بسوط · وكانت الساحرة تسير خلف القزم قائلة باستمرار :

« اسرع ! اسرع ! »

ومع كل دقيقة تمضي كانت البقع الخضر تكبر وبقع الثلج تصغر · وفي كل لحظة تزداد الاشجار التي تنفض عنها كسوتها من الثلج · وسرعان ما صرت تشاهد اينما نظرت اشجار التنوب الداكنة الخضرة أو أغصان السنديان أو الخوخ أو الدردار الشوكية العارية الداكنة · ثم تحول الضباب من اللون الابيض الى اللون الذهبي لينقشع في الحال · وتسللت خيوط من ضوء الشمس اللذيذ الى ارض الغابة وصار بامكانك ان ترى فوقك السماء الزرقاء من بين قمم الاشجار ·

وسرعان ما اصبحت هناك اشياء جميلة كثيرة تحدث · فما ان انعطف ادموند فجأة حول زاوية نحو فسحة بين اشجار البتوك الفضية حتى رأى الارض مغطاة بزهور قليلة صفراء اللون في كل تجاه ـ واصبح صوت جريان الماء أقوى من ذي قبل · وما أن عبروا جدولا حتى اكتشفوا وراءه اشجار زهور اللين البرية آخذت بالنمو ·

وعندما رأى القزم ادموند يدير راسه لينظر اليها هز الحبل هزة عنيفة وقال :

« اهتم بشغلك ! »

لكن هذا لم يمنع ادموند من الرؤية بالطبع · وبعد خمس دقائق فقط رأى عدداً من نبتات الزعفران نامية حول اصل شجرة قديمة ـ ذهبية وارجوانية وبيضاء · ثم جاء صوت احلى من خرير الماء · واذا بطير يغرد على غصن شجرة قريبة · ورد عليه طير آخر بعد قليلا بسقسقة منه · وكأن تلك كانت اشارة متفق عليها ، فقد جاءت السقسقة والتغريد من كل تجاه ، تلتها لحظة غناء كاملة ، وما هي الا خمس دقائق اذا الغابة كلها تصدح بموسيقى الطيور ، وكان أينما أدار ادموند عينيه يرى طيوراً تحط على اغصان ، أو تحلق في الجو أو يطارد بعضها بعضاً او تتعارك عراكها الصغير أو تنظف ريشها بمناقيرها ·

قالت الساحرة :

« اسرعا ! اسرعا ! »

لم يعد هناك من أثر للضباب الآن · واصبحت السماء أشد زرقة ، وكانت هناك غيوم بيض تعبر السماء مسرعة من وقت لاخر · كانت الفرجات الواسعة حافلة بزهور الربيع · وهب نسيم عليل نثر قطرات ندى تحمل من على الاغصان المتمايلة رطوبة ، وأريجاً لذيذاً بارداً الى وجوه المسافرين · لقد بدأت الاشجار تستعيد نبض الحياة وأكتست اشجار الارز والبتولا بالخضرة من جديد ، واشجار « اللابرنوم »(*) بلون ذهبي · وسرعان ما طلعت اشجار الزان اوراقها الشفافة الرقيقة · وبينما كانوا يسيرون تحتها اصبح الضوء اخضر ايضاً · وعبرت من أمامهم نحلة تطن ·

توقف القزم فجأة وقال :

« ليس هذا ثلج ذائب ، فهذا هو الربيع · ماذا سنفعل ؟ ان شتاءك قد مر صدقيني ! هذا من فعل اصلان · »

قالت الساحرة :

« اذا نطق أي منكما بذلك الاسم مرة اخرى فسيموت في التو · »

الفصل الثـاني عشر

معركـة بيـتر الأولى



بينما كان القزم والساحرة يتحدثان بهذا ، كان القندسان والاطفال يسيرون ساعات وساعات فيما يبدو كأنه حلم جميل مبهج . فمنذ مدة طويلة خلفوا الشاطىء ورائهم . اما الان فقد توقفوا يحادث بعضهم بعضا قائلين :

« انظر ! هناك طائر رفراف »* أو « ذلك ، زنبق بري ! » أو « يا لها من رائحة زكية ! » و « أصغوا الى صوت السمان ! ».

وساروا صامتين ينهلون من جمال الطبيعة ، خارجين الى حيث ضوء الشمس الدافىء أو داخلين أدغالا خضراء باردة ليخرجوا ثانية الى اماكن مفتوحة تكسوها الحشائش ، حيث اشجار الدردار التي التفت عليها النبتات المتسلقة صاعدة الى الاعلى . ومنها الى تلافيف شجيرات الكشمش البري والزعرور البري حيث الرائحة الزكية تغمر الجو .

لقد اصابتهم دهشة مثلما أصابت ادموند وهم يرون الشتاء يختفي والغابة كلها تنتقل في ساعات قليلة او نموها من شهر كانون الثاني الى شهر مايس . فهم لا يعرفون بالتأكيد (مثلما تعرف الساحرة) ان هذا هو ما حدث عندما جاء اصلان الى نارنيا . الا أنهم يعرفون جميعا ان سلطانها هو الذي جعل الشتاء بلا نهاية ، ولذا فهم يعرفون ان مجيىء هذا الربيع السحري يعني ان ثمة خطأ ، وخطأ فادحا قد اصاب مكائد الساحرة . وادرك الجميع بعد بضع ساعات من استمرار ذوبان الثلج ان الساحرة لم تعد قادرة على استخدام زحافتها . عندئذ توقفوا عن الركض وصاروا يستريحون مرات اكثر ولمدد أطول كانوا في غاية التعب بالطبع ، أنا لا اعتبره تعبا مريرا ـ انما هو خدر وشعور حالم وهدوء نفسي شبيه بما يحدث للانسان عندما يصل الى نهاية يوم طويل في العراء . واصابت سوزان بثرة طفيفة في عقب قدمها .

* الرفراف : طائر يعيش قرب الانهار ويقتات بالاسماك

لقد تركوا طريق النهر الكبير قبل مدة • فعلى المرء ان ينعطف قليلا نحو اليمين (ذلك يعني نحو الجنوب قليلا) ليصل الى مكان الطاولة الحجرية • وحتى لو لم يكن هذا طريقهم فانهم ما كانـــوا يستطيعون مواصلة السير في وادي النهر طالما قد بدأ الذوبـــان ، فالنهر كان سيفيض بذوبان كل ذلك الثلج ـ فيضانا طينيا جميلا ـ هادرا مزبدا ولاصبح طريقهم تحت الماء •

انحدرت الشمس الان وازداد الضوء احمرارا واصبحت الضلال اكثر امتدادا وبدأت الزهور تفكر بالنوم •

قال القندس :

« لم يبق أمامنا الا القليل • »

وتقدمهم الى سفح تل ، عبر رقعة من الاعشاب الطويلة الندية (شعروا بها مريحة تحت اقدامهم المتعبة) حيث نمت اشجار باسقة متباعدة • وجعلهم التسلق بعد يوم طويل من التعب يلهثون وينفخون • وما ان تساءلت لوسي ان كانت تستطيع حقا الصعود الى القمة من دون راحة طويلة اخرى ، حتى وجدوا انفسهم فـوق القمة • وهذا ما رأوه •

اصبحوا في فضاء أخضر واسع تستطيع ان تنظر منه الى الغابة المتمدة مرمى البصر في كل اتجاه ـ عدا الجهة اليمنى • فهناك ، بعيدا نحو الشرق ، كان يتلألأ شيء ويتحرك •

همس بيتر لسوزان :

« يا الهي ! البحر ! »

كانت الطاولة الحجرية تتوسط هذه القمة الرحبة تماما • كانت بلاطة كبيرة كالحة من حجر رمادي قائمة على اربعة احجار منتصبة كانت تبدو قديمة جدا ، وكان محفورا عليها خطوط غريبة وحروف ربما هي حروف لغة مجهولة ، يتملك الانسان شعور غريب حيـن ينظر اليها • ورأوا كذلك سرادقا كبيرا منصوبا في جانب الفضـــاء المفتوح • كانت خيمة جميلة ـ وبخاصة الان مع سقوط شـــعاع الشمس الغاربة عليها ـ بحواشي كانها من حرير اصفر وحبـــال قرمزية اللون وأوتاد من العاج تعلوها سارية فوقها علم فيه شعار اسد فتي احمر اللون ويرفرف في النسيم الذي كان يهب على وجوههم من البحر البعيد • وبينما كانوا ينظرون الى هذا سمعـوا صـوت

موسيقى آتية من جهة اليمين ، واذ التفتوا الى تلك الجهـــة ورأوا ما جاءوا لرؤيته •

كان أصلان يقف وســط حشد من المخلوقات الذين التفوا حوله على هيئة هلال • وكانت هناك نساء أشجار ونساء آبار (لقد اعتدنا في عالمنا ان ندعوهن حوريات الغابة وحوريات الماء)* يحملن الات وترية ، وكن هن مصدر الموسيقى •

وكان هناك اربعة قناطير ضخمة • وكان نصفها الحصانـــي يشبه خيول الريف الانكليزي الضخمة اما نصفها الثاني الذي هو رجل فيشبه عمالقة صارمة ولكنها جميلة • وكان ثمة احادي القرن*، وثور برأس رجل ، وبطريق ونسر ، وكلب ضخم • ووقف بجانب أصلان نمران احدهما يحمل تاجه والثاني يحمل رايته •

أما اصلان نفسه ، فان القندسين والاطفال لم يعرفوا مـــاذا يفعلون او ماذا يقولون • فالناس الذين لم يسبق لهم المجيء الى نارنيا يفكرون احيانا بأن شيئا لا يمكن ان يكون طيبا ورهيبا في آن واحد • واذا كان هذا هو تفكير الاطفال دائما ، فقد برئوا منه الان • لانهم حين حاولوا النظر الى وجه اصلان لم يروا بنظرتهم السريعة سوى اللبدة الذهبية والعينين الملكيتين القاهرتين ، اللتين تفيضان عظمة وجلالا ، وعندئذ وجدوا انفسهم غير قادرين على النظر اليه واخذوا يرتجفون •

همس القندس :

« تقدم » •

همس بيتر :

« لا • أنت اولا • »

همس القندس مجددا :

« لا ، اولاد ادم قبل الحيوانات • »

همس بيتر :

---

* حورية الماء : حورية تزعم الاساطير اليونانية والرومانيـة انها تقيم في البحيرات والانهار والينابيع وتمنحها الحياة والبقاء •

* احادي القرن : حيوان خرافي له جسم فرس وذيل اسد وقرن وسط الجبهة •

« سوزان ، وماذا عنك ؟ السيدات اولا · »

همست سوزان :

« لا ، أنت الاكبر · »

وبالطبع ادى استمرارهم على هذا المنوال الى زيادة ارتباكهم · واخيرا ادرك بيتر انه هو الذي يجب ان يتقدم · فاستل سيفه ورفعه مؤديا التحية به وخاطب الاخرين من دون تردد قائلا :

« تقدموا · وكونوا صفا واحدا · »

وتقدم من الاسد وقال :

« لقد جئنا ـ يا أصلان · »

قال أصلان :

« مرحبا بكم ، يا بيتر ، يا ابن ادم ، ويا سوزان ولوسي ، ابنتا حواء · ومرحبا قندس ويا قندسة · »

كان صوته عميقا وقويا بشكل طرد الخوف من نفوسهم · فأصبحوا يشعرون الان بسرور واطمئنان ولم يعد ثمة تردد أو وجل أو ارتباك ·

سأل أصلان :

« ولكن أين الرابع ؟ »

قال القندس :

« حاول الخيانة والانضمام الى الساحرة البيضاء ، يا أصلان · »

وقد حفز شيء ما بيتر فقال :

« كان ذلك بسببي الى حد ما ، يا أصلان · لقد كنت غاضبا منه وأظن ان ذلك دفعه الى سلوك سبيل خاطيء · »

لم يقل أصلان شيئا يعذر به بيتر او يلومه ، بل وقف فقط ينظر اليه بعينيه الكبيرتين الثاقبتين · وتراءى هذا للجميع ان ليس هنالك بعد ما يقال ·

قالت لوسي :

« أرجوك ـ يا أصلان ، ألا يوجد شيء نفعله لانقاذ ادموند ؟ »·

قال أصلان :

« سنفعل كل ما في وسعنا ، الا انه قد يكون اصعب مما تظنين · »

ثم سكت بعض الوقت · وكانت لوسي حتى تلك اللحظة منهمكة بالتفكير بما يمتاز به وجهه من جلال ملكي وقوة وهدوء ، ثم انتبهت

الى ما يحمله من حزن · ولكن سرعان ما تلاشى ذلك الانطباع تماما في اللحظة التالية · وهز الاسد لبوته وضرب مخالبه بعضها ببعض (وفكرت لوسي : يا لها من مخالب مخيفة ان لم يعرف كيف يقلمها !) وقال :

« لتعد الوليمة ، في الوقت الحاضر · سيداتي ، خذن بنات حواء هؤلاء الى السرادق وقدمن لهن الخدمة اللازمة · »

عندما ذهبت البنتان وضع اصلان كفه المخلبية على كتف بيتر ـ كانت ثقيلة بالرغم من نعومة مخالبها ـ وقال :

« تعال ، يا ابن ادم ، وساريك من بعيد القلعة حيث ستكون ملكا · »

رافق بيتر الاسد وهو لا يزال يمسك سيفه بيده الى الحافة الشرقية من قمة التل · وهناك وقعت انظارهما على منظر جميل · كانت الشمس تغرب من وراء ظهريهما · وهذا يعني ان كل البلاد التي يقع دونهما اصبحت في وقت الاصيل ـ الغابة والتلال والوديان و ، المنعطف النائي الشبيه بافعى فضية ، الذي هو النهر الكبير قرب المصب ووراء كل هذا ، بأميال كان البحر ، ووراء البحر السماء ، المغطاة بالغيوم التي اكتست في التو لونا ورديا من انعكاس اشعة الشمس الغاربة ·

ولكن حيث كانت ارض نارنيا تلتقي بالبحر ـ كان ثمة شيء فوق تل صغير ، يتلألأ · كان يتلألأ لانه كان قصرا وبالتأكيد فان اشعة الشمس كانت تنعكس من جميع النوافذ التي تواجه بيتر والشمس الغاربة ، ولكنه كان في نظر بيتر نجمة كبيرة تستريح على شاطيء البحر ·

قال أصلان :

« آه ، يا رجل ، ذلك هو كير بارافل ذو العروش الاربعة ، ستعتلي واحدا منها · لقد اريتك اياها لانك الابن البكر وستكون ملكا على الباقين عظيما ·

★ اللابرنوم : نبات من الفصيلة القرنية يُزرع بعضه للتزيين

ومرة أخرى لم يقل بيتر شيئا ، ففي تلك اللحظة كسرت ضوضاء غريبة الصمت فجأة . وكانت شبيهة بصوت البوق ، بل أحلى .

قال اصلان لبيتر بصوت خفيض ، خفيض الى حد كاد ان يكون صوت مواء قطة لولا أنه من غير اللائق اعتباره مواء أسد :

« هذا بوق شقيقتك . »

لم يفهم بيتر للخطة . وبعدئذ ، عندما رأى كل تلك المخلوقات تتقدم للامام وسمع أصلان يقول وهو يلوح بكفه .

« الى الوراء ، اتركوا الامير يحرز اول انتصار له . » فهم ، واسرع باقصى سرعة الى السراداق . ورأى هناك منظرا مرعبا .

كانت حوريات الماء وحوريات الغابات منتشرات في كل تجاه . وكانت لوسي تركض نحوه باقصى سرعة تستطيع ساقيها الصغيرتين ان تحملانها ووجهها ابيض كالورق . ثم رأى سوزان تندفع بسرعة نحو شجرة ، وتتعلق بها في محاولة منها لتسلقها وكان يطاردها حيوان رمادي ضخم . ظنه بيتر في البداية دب . ثم رآه يشبه كلبا الزاميا ، وان كان اكبر بكثير من ان يكون كلبا . ثم لاحظ انه ذئب – ذئب يقف على قائمتيه الخلفيتين ، ومخالبه الامامية قبالة جذع الشجرة ، مكشرا عن انيابه مزمجرا ، وقد انتصب شعر ظهره . لم تكن سوزان قادرة ان تتسلق أعلى من الغصن الثاني الكبير . وكانت احدى ساقيها تتدلى نحو الاسفل بحيث ان قدمها لم تكن تبعد اكثر من بوصة واحدة عن الانياب المكشرة . وتساءل بيتر لماذا لم تتسلق الى أعلى أو تتشبث بطريقة افضل في الاقل ، ثم لاحظ انها قد اخذت بالانهيار . واذا انهارت فستقع .

لم يشعر بيتر بشجاعة فائقة ، بل انه كاد ان يشعر بالغثيان . ولكن ذلك ما كان ليغير شيئا مما عليه ان يفعله . واندفع الى الامام نحو الوحش ووجه ضربة بسيفه نحو خاصرته . لم تصب تلك الضربة الذئب . فالتفت بسرعة البرق ، وقدحت عيناه شررا ، وفتح فمه على سعته بعواء غاضب . ولو لم يكن فيه ما فيه من شدة الغضب ما جعله ينشغل بالعواء لكان هجم عليه ومزق رقبته في الحال . وبالرغم من ان هذا حدث بسرعة كبيرة لم يجد بيتر معها فرصة للتفكير ابدا – فقد كان لديه الوقت كي ينحني قليلا ويغمد سيفه

بكل قوة يستطيعها ، في قلب الوحش ، من بين قائمتيه الاماميتين . ثم جاءت لحظة اضطراب مخيفة كأنها شيء من كابوس .

كان يطعنه بسيفه وينتزعه بقوة وبدا الذئب لا هو بالميت ولا بالحي . وارتطمت اسنانه المكشوفة بجبينه ، واصبح كل شيء دما وحرارة وشعرا . وبعد دقيقة اكتشف ان الوحش خر ميتا وانتزع سيفه من جثته واعتدل واقفا ومسح العرق من على وجهه وحول عينيه . لقد شعر بتعب في كل انحاء جسمه .

وبعد برهة قصيرة ، نزلت سوزان من على الشجرة . وشعرت هي وبيتر بالاضطراب عندما تقابلا ولن أقول انه لم تكن هناك قبلات وبكاء من كليهما . ولكن في نارنيا لا أحد يفكر بأن يلومك لو بكيت .

صاح أصلان :

« أسرعوا ! أسرعوا ! ، أيها القناطير ! أيها النسور ! أرى ذئبا اخر في الدغل . هناك – وراءكم لقد فر هاربا اللحظة . طاردوه كالكم ! سيذهب الى سيدته . وهذه فرصتكم الان لتجدوا الساحرة وتنقذوا ابن ادم الرابع . »

وسرعان ما دوى رعد من أصوات الحوافر وخفق الاجنحة وانطلقت عشرات من أسرع المخلوقات لتختفي في الظلام الذي بدأ يتزايد .

كان بيتر لا يزال يلهث ، والتفت فرأى اصلان بالقرب منه .

قال اصلان :

« لقد نسيت ان تنظف سيفك . »

وكان محقا . خجل بيتر حين نظر الى نصل السيف اللامع وشاهده ملوثا بشعر الذئب ودمه . انحنى ومسحه بالحشيش الى ان نظفه تماما ، وجففه تجفيفا كاملا بمعطفه .

قال أصلان :

« ناولني أياه واركع يا بن ادم . »

وعندما فعل بيتر ربت على كتفه بصفحة السيف وقال :

« انهض ايها السير بيتر قاتل الذئب ، ومهما حدث ، لا تنس ان تمسح سيفك . »

الفصل الثـالث عشر

سحر محكم منذ فجر التاريخ



يجب علينا الان ان نعود الى ادموند . حين أجبر على السير الى مسافة لم يسبق لاحد ان مشاها حسب علمه ، توقفت الساحـــرة اخيرا في واد مظلم حجبته اشجار التنّوب واشجار الطقســوس . ارتمى ادموند على وجهه اعياء من دون ان يفعل شيئاً أو يعبأ بما قد يحدث بعد ذلك شرط ان يتركاه راقداً . كان متعباً الى حد جعلـــه

لاينتبه الى مدى جوعه وعطشه . كانت الساحرة والقزم يتحدثـان بأقرب منه بصوت خفيض .

قال القزم :

« لا ، لا فائدة ترجى الان ، أوه أيتها الملكة . لابدّ انهم قـد وصلوا الطاولة الحجرية الآن . »

قالت الساحرة :

« ربما شم الذئب رائحتنا وجاءنا حاملا لنا أخباراً . »

قال القزم :

« لو فعل فلن تكون اخباراً جيدة . »

قالت الساحرة :

« العروش الاربعة في كير بارافل ، ماذا لو شغلت ثلاثـــة عروش فقط ؟ هذا لن يحقق النبوءة . »

قال القزم :

« وما الفرق مادام هو هنا ؟ » فهو لايجرؤ ، حتى الان ، على ذكر اسم اصلان امام سيدته .

قالت :

« قد لايمكث طويلا . عندئذ ـ سنهـاجم الثلاثـة في كيـــر بارافل . »

قال القزم :

« ومع ذلك فقد يكون من الافضل لنا أن نتحـرز على هـــذا ونساوم عليه . » (وهنا رفس ادموند)

قالت الملكة باحتقار :

« أجل ! ونتركه ينجو . »

قال القزم :

« اذن ، من الافضل لنا أن نفعل ما يجب علينا فعله في الحال. »

قالت الساحرة :

« افضل ان افعله عند الطاولة الحجرية نفسها . فذلك هـــو المكان الملائم . هذا ما كان يفعله دائماً من قبل . »

قال القــزم :

« قد يمر وقت طويل قبل ان تعود الطاولة الحجرية صالحـة للغرض الذي أعدت من اجله . »

قالت الساحرة :

« صحيح ، واذن ، حسن ، سأبدأ » . في تلك اللحظة اندفع نحوهم مكشر عن انيابه .

قال :

« لقد رأيتهم . جميعهم موجودن معه عند الطاولة الحجرية ، لقد قتلوا قائدي موجريم . اختبأت في الادغال وشاهدت كل شيء . لقد قتله احد أبناء ادم . اهربا ! »

قالت الساحرة :

« كلا ، لن تكون بنا حاجة للهرب . انطلق بسرعة واستدع أهلنا كلهم ليقابلوني هنا باقصى سرعة . واستدع المردة والمستذئبين وارواح الاشجار التي هي في صفنا . ناد على الغيلان ، والاشباح ، وآكلو البشر ، والمنيوطورات(*) . ادعُ الوحوش ، والعفاريت ، والاشباح ، وشعب الفاريقونات . سنقاتل . ماذا ؟ الم أعد أملك صولجاني ؟ الن يحول صنفهم الى حجر ساعة مجيئهم الى هنا ؟ هيا انطلق . على انجاز بعض الأمور هنا بعد ذهابك . »

احنى الوحش الهائل رأسه واستدار وانطلق .

قالت :

« والان ! مادمنا لا نملك مائدة ــ دعني أتدبر الامر . من الافضل ان نشده الى جذع شجرة . »

وجد ادموند نفسه يجرّ بخشونة للوقوف على قدميه . ثم دفعه القزم الى جذع شجرة وشد اليها بسرعة . ورأى الساحرة تنزع عباءتها الخارجية ، كاشفة عن ذراعين عارتين شديدتي البياض . ولأنهما كانتا شديدتي البياض استطاع ان يراهما ، الا انه لم ير أكثر من هذا ، لأن الظلام شديد في هذا الوادي المحجوب بالاشجار الداكنة .

« أعدّ الضحية . »

فكّ القزم ياقة ادموند وثنى ثوبه من عند رقبته . ثم امسك بشعر ادموند وجذب رأسه الى الخلف ليرفع ذقنه . وبعدئذ سمع

(*) المنيوطور : حيوان خرافي نصفه على صورة رجل ونصفه الاخر على صورة ثور .

ادموند ضوضاء غريبة ــ ويز ــ ويز ــ ويز . ولم يستطع للحظة ان يخمن ما هو . ثم ادرك أنه صوت شحذ سكين .

في تلك اللحظة تماما سمع صرخات عالية آتية من كل أتجاه ــ حوافر تدق الارض دقاً وأجنحة تخفق ــ وصرخة من الساحرة ــ وعمت الفوضى من حوله . ثم اكتشف ان هناك من تحرر من قيده. كانت اذرع قوية تحيط به وسمع اصوات جهورية طيبة ، تقول اشياء مثل ــ « دعوه يضطجع ــ اسقوه قليلا من النبيذ ــ اشرب هذا ــ استرح الان ــ ستشعر بتحسن في خلال دقيقة . »

ثم سمع أصوات بشر يتحدثون ، ولم يكن الحديث موجهاً اليه ، وانما يتحدثون فيما بينهم . وكانوا يقولون اشياء مثل :

« من الذي تمكن من الساحرة ؟ أظنك انت الذي نلت منها . انا لم ارها بعد ان انتزعت السكين من يدها ــ كنت ألاحق القزم ــ أتريد ان تقول انها هربت ؟ ــ المرء لايستطيع ان يصلح كل شيء دفعة واحدة ــ ما هذا ؟ اوه ، اسف ، ما هو الا أصل شجرة عتيقة . »

عند هذه النقطة غاب ادموند عن الوعي .

وفي الحال تهيأت القنطورات وأحاديات القرن والغزلان والطيور (كان هؤلاء في الواقع هم فريق الانقاذ الذي ارسله اصلان في الفصل السابق للعودة الى الطاولة الحجرية ، حاملين معهم ادموند . ولكن لو أنهم استطاعوا أن يروا ماذا حدث في ذلك الوادي بعد مغادرتهم ، لكانوا اصيبوا بالدهشة .

كان الهدوء شاملا وسرعان ما سطع القمر ، ولو كنت هناك لكنت قد رأيت القمر ينير أصل شجرة قديمة وصخرة متوسطة الحجم . ولكن اذا واصلت النظر لكنت لاحظت تدريجيا غرابة اصل الشجرة والصخرة معاً . ولكنت لاحظت بعدئذ ان اصل الشجرة يبدو حقاً لافتاً للنظر مثل رجل بدين متكور على الارض . ولو راقبته بامعان لتراءى لك انه يمشي متجهاً نحو الصخرة فتنتصب جالسة ويبدأ في الحديث مع أصل الشجرة ، ولم تكن الصخرة واصل الشجرة في الواقع سوى الساحرة والقزم . فهذا جزء من قدرتها السحرية على جعل الاشياء تبدو على غير حقيقتها ، وكانت تملك من حضور البديهة ما جعلها تفعل هذا لحظة أسقطت السكين من يدها . وكانت ماتزال تقبض على صولجانها ، وهكذا حافظت على سلامتها ، أيضاً .

حين استيقظ الاطفال الاخرون في صباح اليوم التالي (كانوا نائمين على اكداس من الوسائد في السرادق) كان أول شيء سمعوه – من القندسة – هو ان شقيقهم قد أُنقذ وجيء به الى المخيم في ساعة متأخرة من الليلة الماضية ، وكان في تلك اللحظة بصحبة أصلان . وحالما انتهوا من تناول الفطور خرجوا جميعاً ، ورأوا أصلان وادموند يسيران هناك فوق العشب النّدى معاً ، بعيداً عن بقية الحاشية ، لا حاجة لان اخبركم (كما لم يسمع احد) ماذا كان أصلان يقول ، ولكنها كانت محادثة لن ينساها ادموند ابداً . وعندما اقترب الإخرون التفت اصلان اليهم ليرحب بهم وبصحبته ادموند .

قال :

« ها هو شقيقكم ، و – لا داعي للحديث معه بشأن ما مضى . »

صافحهم ادموند واحداً واحداً وقال لكل منهم :

« انا متأسف . »

وقالوا جميعاً :

« خير على خير . »

رغب كل واحد منهم رغبة شديدة بأن يقول ما يجعل الأمور تبدو طبيعية وانهم جميعاً قد عادوا اصدقاء له – شيء مألوف وطبيعي – ولكنهم لم يجدوا الكلمات المعبرة المناسبة . واذا بأحد الفهود يقترب من أصلان ويقول :

« مولاي ، هناك مبعوث من العدو يلتمس مقابلتكم . »

قال أصلان :

« دعوه يقترب . »

مضى الفهد وعاد بسرعة مصطحباً معه قزم الساحرة .

سأل أصلان :

« ما هي رسالتك ، يابن الارض ؟ »

قال القزم :

« ان ملكة نارينا وامبراطورة الجزر الوحيدة تطلب الامان لتأتي وتتحدث معك ، بامر مفيد لك بقدر ما هو مفيد لها . »

قال القندس :

« ملكة نارينا ، يا للصفاقة ! »

قال أصلان :

« اهدأ ، يا قندس ، ان جميع الالقاب ستعود لاصحابها الشرعيين في امحال . وفي غضون ذلك لن نتجادل بشأنها . قل لسيدتك ، يابن الأرض ، انني اضمن سلامتها شريطة ان تترك صولجانها خلفها عند البلوطة الضخمة . »

وجرى الاتفاق على هذا وصحب فهدان القزم ميتاكدا من التقيد بتنفيذ تلك الشروط .

همست لوسي لبيتر :

« ولكن لنفترض انها حولت الفهدين الى حجر ؟ »

اظن الفكرة نفسها خطرت ببال الفهدين نفسيهما ، مها يكن ، فما ان مضيا في طريقهما حتى انتصب شعر ظهريهما وذيلاهما – كالقطة حين ترى كلباً غريباً .

اجاب بيتر هامساً :

« سيكون كل شيء على ما يرام . ما كان سيبعث بهما لو لم يكن مطمئنا الى النتيجة . »

وبعد بضع دقائق صعدت الساحرة بنفسها الى قمة التل وسارت مباشرة لتقف امام أصلان . فشعر الاطفال الثلاثة ، الذين لم يروها من قبل ، بقشعريرة تجري في جسدهم لدى رؤيتهم وجهها، وكانت هناك دمدمة خفيضة في صفوف جميع الحيوانات الحاضرة . وبالرغم من اشعة الشمس المشرقة شعر الجميع بالبرد فجأة . الشخصان الوحيدان اللذان كانا يبدوان غير متأثرين هما أصلان والساحرة نفسها وأغرب شيء ان هذين الوجهين – الوجه الذهبي والوجه الشاحب شحوب الموتى – يقفان الآن وجها لوجه . ولكن القندسة لاحظت بصورة خاصة ان الساحرة لم ترفع عينيها لتنظر الى عيني اصلان مباشرة .

قالت الساحرة :

« انت تأوي عندك خائناً ، يا اصلان . »

عرف الحاضرون بالطبع انها كانت تقصد ادموند . ولكن ادموند قد تجاوز انانيته بعد الاحداث التي مر بها وبعد الحديث الذي قد سمعه في ذلك الصباح . وواصل النظر الى أصلان فقط .و لم يبد عليه أيّ اهتمام بما قالته الساحرة .

قال أصلان :

« حسن ٠ لم تكن اساءته موجه اليك ٠ »

سألت الساحرة :

« أنسيت السحر المحكم ؟ »

أجاب اصلان بوقار :

« لنقل اني نسيته ٠ خبّرينا ماهو السحر المحكم هذا ٠ »

وفجأة علا صوت الساحرة بصيحة حادة وقالت :

« أأخبرك ؟ أأخبرك بما هو مكتوب على الطاولة الحجرية تلك التي تنتصب الى جانبنا ؟ أأخبرك بما هو مكتوب بحروف عميقة بمدى بقاء الرمح على الصخور النارية على الجبل السحري ؟ أأخبرك بما نقش فوق صولجان امبراطور البحار ؟ أنت تعرف على الاقل السحر الذي وضعه الامبراطور في نارنيا في بداية نشوئها ٠ وتعرف أنّ كل خائن يؤول مصيره اليّ وأن من حقي الشرعي ان اقتل كل خائن ٠ »

قال القندس :

« اوه ، هكذا اذن ظننت نفسك ملكة ـ لأنك كنت جلاّد الامبراطور ٠٠٠ فهمت ٠ »

قال اصلان بدمدمة خفيفة :

« اهدأ ، يا قندس ٠ »

واستمرت الساحرة تقول :

« وهكذا فان ذلك المخلوق البشري هو ملكي ٠ وحياته رهن اشارتي ٠ ودمه مباح لي ٠ »

قال الثور الذي رأسه رأس انسان بصوت رنّان هائل :

« تعالي وخذيه اذن ٠ »

قالت الساحرة بابتسامة متوحشة كأنها تكاد ان تكون زمجرة :

« احمق ، اوتظن سيدك قادراً حقاً على اخذ حقي مني بطريق القوة ؟ هو يعرف ان السحر المحكم افضل من ذلك ٠ هو يعرف أنه ما لم اقتص دما ، كما يقوم القانون ، فان كل نارنيا سيقلب عاليها سافلها وتهلك في نار وماء ٠ »

قال اصلان :

« صحيح جداً ، وانا لا انكره ٠ »

همست سوزان في اذن الأسد :

« آه ، يا اصلان ! آلا نستطيع ـ اقصد الن تقبل ؟ أتفعل ؟ الا نستطيع ان نفعل شيئا بشأن السحر المحكم ؟ الا يوجد ما تستطيع ان تفعله ضده ؟ آلا يوجد ماتستطيع ان تبطل به فاعليته ؟ »

التفت اليها أصلان عابس الوجه وقال :

« العمل ضد سحر الامبراطور ؟ »

ولم يقترح عليه ذلك الاقتراح مرة اخرى ٠ كان ادموند يقف الى يسار اصلان ، ناظراً الى وجهه طول الوقت ٠ وشعر بغصة وساءل أن كان عليه ان يقول شيئا ، ولكن بعد دقيقة شعر بأنه لا ينتظر منه ان يفعل شيئاً سوى الانتظار ، وان يفعل ما يؤمر به ٠

« الى الوراء ، جميعكم ، وسأتحدث مع الساحرة على انفراد ٠ »

امتثلوا جميعاً لأمره ٠ كان هذا وقتاً عصيبا ـ انتظار وترقّب ـ بينما كان الأسد والساحرة يتحدثان بجدية معاً بصوت خفيض ٠

قالت لوسي :

« آه ، يا ادموند ٠ »

وانخرطت في البكاء ٠ وقف بيتر مولياً ظهره للاخرين محدقاً بالبحر البعيد ٠ ووقف القندسان ممسكين باكف بعضهما البعض وقد طأطأ رأسيهما ٠ صارت القناطير تضرب الأرض بحوافرها قلقة٠ والان الكل لزموا الهدوء التام في النهاية حتى صرت تسمع طنين نحلة مارة أو صوت الطيور في الغابة التي تحتهم أو حفيف الريح في اوراق الشجر ٠ بينما مضى أصلان والساحرة في حديثهما ٠

واخيراً سمعوا صوت أصلان :

« يمكنكم ان تعودوا ، لقد حسمت الأمر ٠ وتخلت هي عن مطالبتها بدم شقيقكم ٠ وعمت التل ضوضاء كما لو أن انفاسهم كانت قد حبست واستردوها الآن من جديد ، ثم بدأ اللغط ٠

كانت الساحرة قد تحولت للانصراف وقد ارتسم على وجهها ابتسامة فرح وحشي ، حين توقفت وقالت :

« ولكن كيف لي ان اضمن تنفيذ هذا الوعد ؟ »

زئر أصلان ! منتفضاً نصف انتفاضة من عرشه ، فاتحاً فمه الكبير اكثر فأكثر وزئيره يزداد علواً ، ذهلت الساحرة ثم اذا بها ترفع اذيال ثوبها وتلوذ بالفرار ناجية بجلدها ٠

الفصل الرابع عشر

انتصار الساحرة



ما أن ذهبت الساحرة حتى قال اصلان :

« علينا ان نغادر هذا المكان في الحال ، لانه سيكون مستهدفاً لمقاصد اخرى · يجب ان نعسكر هذه الليلة في مخاضات بيرونا ·

كان كل واحد منهم بالطبع يتحرق شوقاً لان يساله كيف رتّب الامور مع الساحرة ، ولكن وجهه الصارم وصدى زئيره الذي لايزال يرن في الآذان جعلهم لايجرؤون على السؤال ·

بعد الانتهاء من تناول الطعام في الهواء الطلق فوق قمة التل (لان حرارة الشمس اشتدت في تلك الساعة حتى أيبست العشب)، انهمكو بعض الوقت في تفكيك السرداق وحزم الامتعة · وفي اقل من ساعتين بدأوا رحلتهم نحو الشمال الشرقي ، وكانوا يسيرون على مهل لان المكان الذي سيذهبون اليه ليس بعيداً ·

في بداية الرحلة شرح اصلان لبيتر حملته · فقال :

« حالما تنتهي الساحرة من عملها في هذه المناطق ، تعود هي وعصابتها الى بيتها للتحضير لغرض الحصار · قد تستطيع وقد لا تستطيع ان تقطع عليها الطريق وتحبط خططها · »

ثم مضى يشرح تفاصيل خطتي المعركة ـ واحدة لمقاتلة الساحرة وجماعتها في الغابة واخرى لمهاجمة قصرها · وكان طول الوقت يعلم بيتر كيف يدير العمليات ، قائلا له اشياء مثل :

« يجب عليك ان توزع قناطيرك في كذا وكذا من الاماكن · او ، عليك ان ترسل الكشافين ليراقبوا وليتأكدوا من انها لاتفعل كذاوكذا، الى ان قال بيتر اخيرا :

« لكنك ستكون هناك يا أصلان ، بنفسك · »

اجاب الاسد :

« لا استطيع ان اعدك بذلك · » واستمر في اعطاء تعليماته لبيتر ·

أما في المرحلة الاخيرة من الرحلة فكان اغلب وقته من حصة سوزان ولوسي · لم يتكلم كثيرا وبدا لهما حزينا ·

كان الوقت لما يزيد عصرا حين وصلوا الى مكان حيث اتسع فيه وادي النهر وصار عريضا وضحلا · وكانت هذه هي مخاضات بيرونا فأعطى اصلان اوامر بالتوقف عند هذا الجانب من النهر · ولكن بيتر قال :

« أليس من الافضل ان نعسكر في الجانب الاخر خشية ان تحاول القيام بغارة ليلية او اي شيء اخر · »

كان اصلان مستغرقا في التفكير بشيء اخر حين استفاق من شروره نافضا لبوته الرائعة وقال :

« ايه ؟ ما هذا ؟ »

فاعاد بيتر ما قاله ·

قال اصلان بصوت فاتر كما لو الامر لا يعني شيئا :

« لا ، لا ، لن تقوم باي هجوم الليلة · »

ثم تنهد بعمق · لكنه اضاف في الحال :

« كل الامور درست بعناية على كل حال · هكذا يجب على الجندي ان يفكر · الا ان هذا ليس بذي بال · »

وهكذا بدأوا في اقامة معسكرهم ·

انعكس مزاج اصلان في المساء على الجميع · كان بيتر يشعر بقلق وبعدم ارتياح ايضا لفكرة ان تقع اعباء المعركة على عاتقه · فقد صدمه خبر احتمال ان لا يكون اصلان حاضرا · كان عشاء تلك الليلة بسيطا · لقد شعر كل واحد بمدى اختلاف تلك الليلة او حتى ذلك الصباح · كانت لو ان الاوقات الطيبة ، التي بدأت في التو ، هي في طريقها الى الانتهاء ·

وقد انعكس هذا الشعور على سوزان الى حد كبير حتى جافى النوم عينيها عندما اوت الى فراشها · وبعدما اضطجعت وراحت تعد ارقاما طلبا للنعاس وتتقلب في فراشها سمعت لوسي تتنهد بشدة وتقلبت في الظلام حتى اصبحت قربها ·

قالت سوزان :

« أأنت ايضا يتعذر عليك النوم ؟ »

قالت لوسي :

« نعم ، ظننتك نائمة · اقول ، يا سوزان ! »

قالت سوزان :

« ماذا ؟ »

قالت لوسي :

« اشعر بخوف فظيع جدا ــ كان خطرا يحيق بنا · »

قالت سوزان :

« اهكذا تشعرين ؟ لاني ، في الحقيقة ، لدي الشعور نفسه · »

قالت لوسي :

« هو شيء يتعلق باصلان ، فهو اما ان يقع له شيء مخيف او انه سيقدم على عمل مخيف · »

قالت سوزان :

« لا أدري ماذا جرى له عصر هذا اليوم ··· لوسي ! ماذا قال عن عدم اشتراكه معنا في المعركة ؟ اتظنينه يريد التسلل هاربا تحت جنح الظلام ، وتركنا وحدنا · »

قالت لوسي :

« أين هو الان ؟ أهو هنا في السرداق ؟ »

قالت سوزان :

« لا أظن ذلك · »

قالت لوسي :

« سوزان ! هيا نخرج ونلقي نظرة في الجوار · وربما نراه · »

قالت سوزان :

« حسن ، هيا بنا ، فمن الافضل ان نقوم بذلك ما دام النوم قد جافانا · »

التمست الفتاتان طريقيهما بين النائمين بهدوء كبير وانسلتا الى جانب الخيمة · كان ضوء القمر ساطعا وكل شيء هادئا ما عدا صوت ارتطام ماء النهر بالحجارة ورشاشة · وفجأة امسكت سوزان بذراع لوسي وقالت :

« انظري ! هناك في الطرف البعيد من ارض المعسكر حيث تبدأ الاشجار ، شاهدتا الاسد يسير ببطء داخل الغابة مبتعدا عنهما · فتبعتاه بصمت ·

قادها الى السفح العالي خارج وادي النهر ومن ثم انعطف قليلا نحو اليمين ــ سالكا كما هو واضح الطريق نفسه الذي سلكوه في طريق عودتهم من تل الطاولة الحجرية بعد ظهر ذلك اليوم · واستمر يقودهما ، داخلا ظلا داكنة وخارجا الى شعاع القمر الواهن ، وقد اثقلت اقدمها شدة الرطوبة · كان يبدو بشكل ما مختلفا عن أصلان الذي عرفتاه · فقد كان خافض الرأس ، مرتخي الذيل وكان يسير ببطء كانه ، متعب جدا ، جدا · وعندما اجتازوا مكانا مكشوفا واسعا حيث لا ظل يستظلون به ، توقف وتفحص المكان من حوله لم يكن هناك أي امل في الهرب ولذا توجهتا نحوه · وعندما اقتربتا منه قال :

« آه يا اطفال ، يا أطفال ، لماذا تتبعاني ؟ »

قالت لوسي :

« لم نستطع النوم ــ »

ورأت ان لا حاجة لمزيد من القول وعرف اصلان ما كانتا تفكران به ؟

قالت سوزان :

« ارجوك ، انستطيع مرافقتك ــ اينما ذهبت ؟ »

قال اصلان :

« حسن ــ »

ثم بدا كأنه يفكر فقال :

« ستكون رفقتكم مبعث سرور لي هذه الليلة ، نعم تستطيعان الانضمام الي ، اذا وعدتماني الكف عن رفقتي حين اطلب منكما ، وبعد ذلك تتركاني اذهب وحدي · »

قالت الفتاتان :

« اوه ، شكرا لك ، شكرا لك · وسنفعل · »

واستأنفوا سيرهم الى أمام وكان الاسد يتوسط الفتاتين · ولكن ما أبطأ سيره · مطأطئا رأسه الملكي المهيب · حتى كاد انفه ان يلامس العشب · وفجأة تعثر فأن انينا خفيضا ·

قالت لوسي :

« اصلان ! عزيزي اصلان ! ما الخطب ؟ ألا تستطيع ان تخبرنا ؟ »

سألت سوزان :

« أمريض انت ، يا عزيزي أصلان ؟ »

قال اصلان :

« لا ، انا حزين ووحيد · ضعا يديكما فوق لبدتي وبذلك سأشعر بوجودكما ولنواصل سيرنا هكذا · »

وفعلت الفتاتان مالا تجرؤان على فعله من دون اذنه ابدا ، وان كانتا تتلهفان على فعله منذ ان رأتاه اول مرة ــ ودستا يديهما الباردتين في بحر الفراء الجميل ومسداها برفق وهما تسيران برفقته · وفي التو ادركتا انهما ذاهبتان معه صعدا الى التل حيث تنتصب الطاولة الحجرية · وصعدوا من الجانب الذي تستمر فيه الاشجار الى الاعلى ، وعندما وصلوا الى الشجرة الاخيرة (شجرة يحيط بها بعض الدغل) توقف اصلان وقال :

« آه ، يا طفلي ، يا طفلي · عليكما ان تتوقفا هنا · ومهما حدث فلا تسمحا لنفسيكما باختلاس النظر · وداعا · »

بكت الفتاتان بحرقة (وبرغم انهما وجدتا صعوبة في معرفة السبب) وعانقتا الاسد وقبلتا لبوته وانفه وقائمتيه الاماميتين

وعينيه الحزينتين الواسعتين · ثم تحرر منهما ومشى بخطى واسعة الى قمة التل · وكانت لوسي وسوزان جاثمتين على الادغال تتبعانه بنظراتهما ، وكان هذا ما شاهدتاه ·

كان حشد كبير من المخلوقات يحيط بالطاولة الحجرية ، وبالرغم من سطوع القمر فقد كان عدد كبير منها يحمل مشاعل متوهجة بلهب أحمر شرير ودخان اسود · لكن أية مخلوقات ! غيلان باسنان بشعة هائلة ، وذئاب ، ورجال برؤوس ثيران ، وارواح اشجار شريرة ونباتات سامة ، ومخلوقات اخرى لن اصفها لاني ان فعلت هذا فان الكبيرة منها لن تدعك تقرأ هذا الكتاب بالتأكيد ــ اشرار وعفاريت وشياطين وارواح شريرة وطيوف واشياء مرعبة وعفاريت ، وجان ، ومسوخ وغيلان · كل هؤلاء كانوا في الحقيقة في صف الساحرة وهم الذين استدعاهم الذئب تنفيذا لامرها · وكانت الساحرة بنفسها تقف في الوسط تماما بجانب الطاولة ·

عندما رأت المخلوقات الاسد العظيم متجها اليها صدر عنها عواء وهذر ، وبدا للحظة كأن الساحرة نفسها قد دب الخوف فيها · ثم استعادت تماسكها واطلقت ضحكة مجلجلة وصرخت :

« الاحمق ! جاء الاحمق · قيدوه بسرعة · » حبست لوسي وسوزان انفاسهما وكانتا تنتظران زئير أصلان ووثبته على اعدائه · ولكن شيئا من هذا لم يحدث ابدا · وبرغم ان العفاريت الاربعة كانوا يكشرون عن انيابهم وينظرون اليه نظرات شزرة فانهم (في البداية) ترددوا في الاقتراب منه وكأنهم خائفون من الاقدام على فعل ما يجب عليهم ان يفعلوه · وكررت الساحرة البيضاء قولها :

« قلت ، قيدوه ! »

وعندما اكتشفوا انه لم يأت بأية مقاومة اندفعوا نحوه وصرخوا صرخة الانتصار · واندفع وراءهم الاخرون لمساعدتهم ــ الاقزام الاشرار والقردة ، وطرحوا الاسد الكبير على ظهره وقيدوا اطرافه الاربعة معا ، وهم يصرخون مبتهجين كأنهم قاموا بعمل شجاع ، ولو ان الاسد اختار ان يستعمل واحدة من قوائمه لأودى بهم جميعا · ولكنه بقي ساكنا ، حتى عندما راح الاعداء يشدون وثاقه ويجذبون الحبال بإحكام فانغرزت في لحمه · ثم بدأوا يجرونه نحو الطاولة الحجرية ·

قالت الساحرة :

« توقفوا ! احلقوا له اولا . »

ولما تقدم قرد يحمل مقص أصواف وجلس عند رأس اصلان اطلق اتباعها ضحكة لئيمة ساخرة اخرى . وبدأ القرد يقص بحركات سريعة من المقص تلافيف الشعر الذهبي الضخمة التي اخذت تتساقط على الارض . ثم تراجع القرد الى الوراء وكانت الفتاتان تراقبان المشهد من مخبئها ، واستطاعا ان تشاهدا كيف ان وجه أصلان بدا صغيرا وهيئته مغايرة من دون لبدته وكذلك رأى الاعداء الاختلاف أيضا .

صرخ احدهم :

« عجبا ، ما هو الا قط كبير بالرغم من كل شيء ! »

وقال اخر :

« اهذا الذي كنا نخشى ؟ »

واخذوا يطوفون حول أصلان ، وهم يسخرون منه ويقولون كلاما مثل :

« هرة ، هرة مسكينة ، او « كم فأرا اصطدت اليوم ، ايتها الهرة ؟ » و « اترغبين بشيء من الحليب ، يا قطتي ؟ »

قالت لوسي والدموع تجرى على خديها :

« او ، كيف يفعلون ذلك ؟ البهائم ، البهائم ! » واذ تلاشى رد الفعل الاول لديها بدا لها وجه أصلان الحليق المجزوز ، أشد شجاعة وجمالا وصبرا من السابق .

قالت الساحرة :

« كمموه ! »

وحتى هذه اللحظة التي كانوا فيها يضعون كمامة على وجهه كانت عضة واحدة من فكيه قد تكلف اثنين او ثلاثة منهم ايديهم . لكنه لم يتحرك ابدا . وبدا ان ذلك قد اغاظ كل هؤلاء الاوغاد المحيطين به الان . ان هؤلاء الذين كانوا يخافون الاقتراب منه حتى بعدما كبلوه بالقيد ، بدأوا يكتشفون شجاعتهم . مضت بضع دقائق لم تستطع الفتاتان ان تريا فيها شيئا ـ اذ احاط به حشد المخلوقات احاطة السوار بالمعصم بسرعة كبيرة وراحوا يركلونه ويهينونه ، ويبصقون عليه ، ويسخرون منه .

واخيرا اكتفى الرعاع بهذا القدر من الاذى . وشرعوا يجرون الاسد المقيد نحو الطاولة الحجرية ، وكانوا بين جاذب له ودافع له . كان ضخما جدا استنفد كل ما عندهم من قوة للوصول به الى هناك وس تم حمله ووضعه على سطح الطاولة . وكان هناك مزيد من ربط الحبال وشدها .

نشجت سوزان :

« الجبناء ! الجبناء ! لا يزالون خائفين على الرغم من كل هذا ؟

وما ان تم تقييد اصلان (قيد الى حد أصبح معه كومة من حبال) على الصخرة المسطحة ، خيم صمت على الحشد . كان اربعة غيلان يقفون عند اركان الطاولة حاملين اربعة مشاعل . وكشفت الساحرة البيضاء عن ذراعيها مثلما كشفتهما في الليلة السابقة ساعة كانت تمسك بأدموند بدلا من أصلان . ثم بدأت تشحذ سكينها التي بدت للطفلتين في ضوء المشاعل ، كأنها صنعت من حجر ، لا من معدن . وكانت ذات شكل شيطاني .

واخيرا اقتربت ، ووقفت عند رأس أصلان . كان وجهها يتلوى ويرتعش من شدة الانفعال ، بينما كان وجه أصلان وهو ينظر الى السماء ، لا يزال هادئا ، ليس فيه ما ينم عن غضب او خوف ، بل عن بعض شيء من الحزن . ثم قبل ان توجه الضربة ، توقفت وقالت بصوت مرتعش :

« والان ، من الفائز ؟ أيها الاحمق ، اظننت أنك بكل هذا ستنقذ الانسان الخائن ؟ سأقتلك الان بدلا منه حسب ميثاقنا وبذلك سيهدىء السحر المحكم . ولكن ما الذي يمنعني من قتله عندما تموت ؟ من سينقذه من يدي بعد ؟ انت تدرك انك قد سلمت لي نارنيا للابد ، وانك خسرت حياتك ولم تنقذه . بهذا المعنى مت كمدا . »

لم تر الطفلتان لحظة القتل الفعلية . اذ لم تقدرا على تحمل المنظر فغطتا عينيهما بايديهما .

الفصل الخامس عشر

سحر أشد احكاماً من عصور ماقبل التاريخ



بينما كانت الفتاتان ماتزالان مختبئين في الادغال وايديهما على وجهيهما سمعتا صوت الساحرة يصيح :

« والآن ! اتبعوني كلكم لننجز ما تبقى من هذه الحرب ! ولن يستغرق منا سحق الجرذان البشرية والخونة طويلا مادام الاحمق الكبير ، الهر الكبير ، يتمدد ميتا » .

في هذه اللحظة اصبحت الفتاتان تواجهان خطراً جسيماً جداً لثوان معدودات . ففي غضون الصراخ الوحشي وصوت جلجلة مزامير القرب ونفير الابواق الصاخب انحدر كل ذلك الحشد الشرير من قمة التل ماراً من امام مخبأ الطفلتين مباشرة . وشعرتا

بالاشباح تمر بهما مثل ريح باردة وشعرتا بالارض تميد تحتهما من دوى اقدام المينوطورات(١) ، وكان فوق رؤوسهم هياج اجنحة متشابكة لنسور سود وخفافيش عملاقة . كانتا ستوتجفان من الخوف في أي وقت اخر ، لكن انشغال بالهما الان بالحزن والخجل والرعب من موت أصلان جعلهما لا يفكران بالخوف .

وما أن عاد الهدوء الى الغابة حتى زحفتا نحو قمة التل . كان القمر قد بدأ ينزل وراء والافق والغيوم الخفيفة تكاد ان تحجبه ، الا انهما استطاعتا أن تريا شكل الاسد الصريع بقيوه . وركعت كلتاهما على العشب الندى وقبلتا وجهه البارد ومسحتا على لبدته الجميلة — مابقي منها — وبكتا حتى لم تعدا قادرتين على مزيد من بكاء . وبعدها نظرت احداهما الى الاخرى وتشابكت ايديهما لمجرد الاحساس بالوحدة ، وبكتا مرة اخرى ، ثم كفتا عن البكاء . واخيراً قالت لوسي :

« لا استطيع ان اتحمل النظر الى تلك الكمامة المخيفة . ترى الا يمكننا رفعها عن وجهه ؟ »

وهكذا حاولتا ، وبعد جهد جهيد معه (اذ كانت اصابعهما باردة والفترة أشد فترات الليل ظلاماً) نجحتا . وعندما شاهدتا رأسه من دون لبدة انفجرتا بالبكاء مرة اخرى وقبلتا وربّتتا عليه وجرفتا الدم والزبد بعيداً قدر استطاعتهما . كان الجو من الوحشة واليأس والرعب ما يفوق بكثير قدرتي على الوصف .

قامت سوزان في الحال :

« ترى أنستطيع فك قيده أيضاً ؟ »

ولكن الاعداء ، قد شدوا وثاقه بقوة كبيرة ، من دون رحمة أو شفقة حتى تعذر على الفتاتين ان تحلّا شيئاً من العقد .

أمل ان لايبلغ اى انسان يقرأ هذا الكتاب ما بلغته سوزان ولوسي من تعاسة في تلك الليلة ، ولكن فان قدر لك أن تكون كذلك — واذا بقيت طوال الليل تبكى حتى نفدت كل دموعك — لعرفت أن نوعاً من هدوء البال سيحل في النهاية . ولشعرت بأن شيئاً من هذا

المنيطور : حيوان خرافي نصفه على صورة رجل ونصفه الاخر على صورة ثور

لن يتكرر مرة اخرى ابداً · وعلى اية حال كان ذلك هو ماشعرت به الفتاتان · وبدا كان ساعات وساعات انقضت بهذا السكون الشامل ولم تكدا تلاحظان أنهما اصبحتا تشعران بمزيد من البرد ، ولكن لوسي لاحظت اخيرا شيئين اخرين · اولهما ان السماء في الطرف الشرقي من التل صارت اقل ظلاماً مما كانت عليه قبل ساعة · والشيء الثاني كانت هناك حركة طفيفة تجري على العشب عند قدميها · لم تهتم بهذا في البداية · ثم ماذا ؟ لاشيء مهم الآن ! ولكنها وجدت اخيراً ان هذا الشيء ـ كائناً مايكون ـ قد بدأ في تسلق صخور الطاولة الحجرية · وان هذا الـ « كائناً ماكان » اخذ يتجه نحو جثة أصلان · انعمت النظر · فرأت اشياء صغيرة الحجم رمادية اللون ·

قالت سوزان باشمئزاز من جانب الطاولة المقابل :

« ـ اغغغ ! بالحقارة ! هذه فئران صغيرة كريهة تزحف عليه · وليّ أيتها الوحوش الصغيرة · ورفعت يدها لتطردها ·

قالت لوسي التي كانت لاتزال تنظر اليها بامعان شديد :

« مهلا ! أترين ما تفعل ؟ »

انحنت الفتاتان وتفرستا ·

قالت سوزان :

« أرى ـ ولكن ياله من شيء غريب ! انها تقرض الحبال ! »

قالت لوسي :

« ذلك ما خطر لي ، اعتقد انها فئران صديقة · مسكينة هذه المخلوقات الصغيرة ـ لا تدرك انه ميت · وتعتقد ان فك قيده سيفيده بعض الشيء · »

ولاحظت الفتاتان لاول مرة كم كان وجهاهما شاحبين · وكانتا تستطيعان رؤية الفئران تقرض الحبال بغير انقطاع ، عشرات وعشرات ، بل مئات ، من الفئران الصغيرة المحتشدة · واخيراً قرضت الحبال جميعها ، حبلا اثر حبل ·

صارت السماء الان ضاربة الى البياض والنجوم جميعها تشحب ـ ما عدا واحدة كبيرة جداً انحدرت نحو الافق الشرقي · وشعرتا بالبردة اكثر مما شعرتا طول الليل · وانسلت الفئران بعيداً ·

أزاحت الفتاتان بقايا الحبال المقروضة · وبدا أصلان كأنه استعاد شكله السابق دون حاجة الى مساعدة · فكان وجهه الميت يزداد نبلا مع كل دقيقة ، يزداد فيها الضوء ويشاهدانه بصورة افضل ·

وكان في الغابة خلفهما طير يغرّد كأنه يقهقه · فاجفلت الفتاتان لسماعه بعد تلك الساعات من السكون الشامل · ثم جاوبه طير آخر · وسرعان ما اصبحت الطيور تغرد في انحاء المكان كافة ·

كانت تلك علائم الفجر بالتأكيد ، لا الساعات الاخيرة من الليل ·

قالت لوسي :

« انا بردانة جداً · »

فقالت سوزان :

« وأنا ايضاً ، هيا نمشي قليلا · »

سارتا نحو الحافة الشرقية من التل ونظرتا الى الاسفل · كان النجم الكبير قد اختفى تقريباً · كان لون رمادي قاتم يلف المكان · ولكن في الجانب البعيد ، عند نهاية الكون تماماً ، كان البحر يبدو شاحب اللون · واخذت السماء بالاحمرار · وسارتا جيئة وذهاباً بين اصلان الميت وحافة التل الشرقية مرات لاتحصى ، طلباً للدفء حتى تعبت سيقانهما · واخيراً ، اذ وقفتا تنظران الى البحر وكيربارافل (الذي استطاعتا ان تميزانه الآن) تحول اللون الاحمر الى لون ذهبي عند خط الافق حيث يلتقي البحر والسماء وحيث بدأ قرص الشمس يرتفع ببطء شديد في تلك اللحظة سمعتا ضجة عالية اتية من ورائهما ـ فرقعة كبيرة ، وضوضاء تصم السمع بشدتها كأن عملاقاً حطّم عظام عملاق آخر ·

قالت لوسي ممسكة بذراع سوزان :

« ما هذا ؟ »

قالت سوزان :

« أنا ـ أنا خائفة من التلفت حولي ، ثمة شيء مخيف يحدث · »

قالت لوسي :

« هم يرتكبون بحقه اثماً »

والتفت جاذبة معها سوزان وقالت :

« تعالي ! »

جعل شروق الشمس كل شيء يبدو مختلفاً تماماً ـ لقد تغيرت جميع الالوان والظلال حتى انهما ـ لم تريا الشيء المهم أول الامر . ثم رأتاه . لقد انشطرت الطاولة الحجرية الى قسمين نتيجة صدع كبير اصابها من طرفها الى الطرف الآخر ، ولم يعد من وجود لاصلان .

صرخت الفتاتان ، واندفعتا عائدتين الى الطاولة :

« اوه ، اوه ، اوه ! »

ونشجت لوسي وقالت :

« اوه ، ما أسوأ هذا ، لعلهم تركوا الجثة على حالها . »

صرخت سوزان قائلة :

« من فعلها ؟ ماذا يعني هذا ؟ اهو مزيد من سحر ؟ » فقال صوت مهيب من ورائهما :

« آجل ! مزيد من سحر . »

تلفتتا حولهما . هناك ، وقف اصلان نفسه ، متالقاً في شمس الصباح اكبر حجماً من ذي قبل يهز لبدته (التي نمت من جديد كما يبدو)

صاحت الطفلتان :

« اه ، اصلان ! »

وهما تحدقان فيه خائفتين بقدر ماهما فرحتين .

قالت لوسي :

« انت لم تمت اذن ، يا عزيزي اصلان ؟ »

قال اصلان :

« ليس الآن »

سالت سوزان بصوت مرتعش :

« انت لست ... لست ... ؟ »

لم تستطع ان تتمالك نفسها لتقول كلمة شبح .

احنى اصلان رأسه الذهبي ولعق جبينها . وبدا كأن دفء أنفاسه والرائحة الزكية التي تعبق من شعره قد انتقلا اليها .

قال :

« اأبدوا كذلك ؟ »

صاحت لوسي :

« اوه ، انت حقيقي ، أنت حقيقي ! آه ، يا اصلان ! »

ورمت الفتاتان بنفسيهما عليه واغرقتاه بالقبل .

وبعدما هدأتا بعض الشيء سألت سوزان :

« ولكن ما معنى كل هذا ؟ »

قال اصلان :

« يعني ، أنه على الرغم من ان الساحرة تعرف السحر المحكم ، الا أن هناك سحراً أشد احكاماً منه لاتزال تجهله . ان معرفتها ترجع الى فجر التاريخ فقط . لكنها لو رجعت قليلاً الى ما قبل ذلك، الى السكون والظلام قبل ان ينبلج فجر التاريخ ، لقرأت هناك طلسماً مختلفاً ، لكانت ادركت ان قتل ضحية بريئة بتهمة الخيانة بدلا من الخائن ، يجعل الطاولة تتصدع ويرتد الموت على مسببه ، والان ـ »

قالت لوسي وهي تقفز وتصفق :

« اوه ، أجل ، والان ؟ »

قال الاسد :

« اوه ، يا اطفال ، اشعر بأني قد استعدت قوتي ، آه ، يا اطفال ، امسكوني ان استطعتما ! »

« لبث واقفاً لحظة ، وكانت عيناه متالقتان جداً ، واطرافه ترتجف ، ضاربا نفسه بذيله . ثم وثب وثبة عالية فوق رأسيهما وهبط على الطرف الآخر من الطاولة . وكان يضحك ، وبالرغم من ان لوسي لم تدرك السبب ، فقد تسلقت الطاولة لتمسك به . ووثب أصلان من جديد . وبدأت مطاردة جنونية . وبدأ يلف ويدور حول قمة التل وهما وراءه ، وفقدتا الامل في اللحاق به ، ومنحهما فرصة مسك ذيله تقريباً ، واصبح الان يتوسطهما ، فقذف بهما في الهواء بمخالبه المقصوصة الضخمة الجميلة وتلقفهما من جديد ، وتوقف على نحو غير متوقع فقد خرج الثلاثة في كومة ضاحكة سعيدة من الاذرع والفرو والسيقان . كان مرحاً صاخباً ما كان لاحد ان يتوقعه في نارينا من قبل ، ولم تكن لوسي لتتعرف على وجه التحديد ان كان اقرب الى لعب مع عاصفة او مع قطيطة . والغريب في الامر أنهم حين تمددوا اخيراً معا تحت الشمس ولم تعد الفتاتان تشعران بأي تعب او جوع أو عطش في الاقل .

وبادر أصلان يقول :

« والآن ، الى العمل · أظنني سأبدأ الزئير · من الافضل لكما ان تضعا اصابعكما في اذانكما · »

ففعلتا ذلك · وانتصب اصلان حين فتح فمه ليزأر غدا وجهه مخيفاً جداً حتى انهما لم تجرئا على النظر اليه · وشاهدتا جميع الاشجار التي امامهما تنحني امام دوي زئيره مثلما ينحني العشب في مرج امام هبوب الريح · ثم قال :

« امامنا رحلة طويلة · ويجب عليكما ان تركبا فوق ظهري · »

وجثم على الارض وصعدت الفتاتان على ظهره الذهبي الدافىء جلست سوزان في المقدمة ، وامسكت كبوته بقوة وجلست وراءها لوسي وتشبثت بسوزان بقوة · نهض بهما ثم انطلق ، باسرع من أي حصان · نازلا التل الى الغابة الكثيفة ·

وربّما كانت تلك الرحلة من اكثر الاشياء التي حدثت لهما في نارينا متعة وجمالا · أسبق لك ان انطلقت على ظهر حصان ؟ فكر بذلك ، ثم ضع جانبا صخب الحوافز وصلصلة اللجام وتخيل بدلا منها لبد الاقدام الكبيرة التي تكاد ان تكون بلا صوت · ثم تخيل بدلاً من كفل الحصان الاسود او الرمادي أو الكستنائي ظهراً متيناً ناعماً من فراء ذهبي ، ولبدته المتطايرة في الهواء الى الخلف · ومن ثم تخيل انك منطلق اسرع من اسرع حصان بمرتين · الا ان هذا ركوب لايحتاج ان يقوده المرء ولا يصيبه منه تعب · ومضى الى الامام ، لايتعثر ابداً ، ولا يتردد شاقاً طريقه بمهارة تامة بين جذوع الشجر ، قافزاً فوق الشجيرات والاغصان المتشابكة والجداول الصغيرة · خائضاً الواسعة منها ، وسابحاً الاوسع · وانت لا تعدو في طريق ولا في حديقة عامة ولا حتى فوق اراض متموجة ، ولكن نارينا نفسها ، في فصل الربيع ، خلال صفوف مهيبة من اشجار السنديان ورحاب مشمسة من اشجار البلوط من خلال بساتين بريّة من اشجار الكرز البيضاء كالثلج ، ماراً بشلالات هادرة وصخور طحلبية وكهوف مرجعة للصدى ، صعوداً على سفوح تعصف بها الرياح انتشرت عليها شجيرات زهور بريّة واكتاف جبال منقطة بالوان نبات الخلنج مروراً بسلسلة اكتاف تسبب الدوار · فنزولا نزولاً من جديد الى وديان بكر ومساحات من زهور زرق ·

وكاد النهار ان ينتصف حين وجدوا انفسهم ينظرون الى قلعة تقع عند منحدر تل عال ـ قلعة تبدو مثل لعبة صغيرة من بعيد ـ وكانت تبدو كتلة من ابراج مدببة · ولكن الاسد اندفع هابطاً التل بسرعة كانت القلعة تكبر معها في كل لحظة تمضي وقبل ان يتاح لهما الوقت لتتساءلا عما تكون ، وجدتا نفسهما قد هبطتا الى مستوى القلعة · فلم تعد الان تبدو مثل لعبة ، بل انتصبت امامهما شاخصة عابسة · ولم يظهر أيّ وجه من فتحات الابراج وكانت البوابات محكمة الاغلاق ! ولم يخفف اصلان من سرعته أبداً ، بل انقض مباشرة نحوها بسرعة الطلقة وصاح :

« بيت الساحرة ! والان ، تمسكا بي بقوة يا طفليّ · »

وفي اللحظة التالية بدا كان العالم كله انقلب عاليه سافله ، وشعرت الطفلتان كأن امعاءهما التفت الى الوراء ، اذ ان الاسد استجمع قواه لوثبة لم يثب مثلها من قبل وقفز ـ او يمكنك ان تقول طار اكثر منه وثب ـ فوق سور القلعة مباشرة · ووجدت الفتاتان نفسهما تهويان من فوق ظهره وسط فناء حجري واسع مليء بالتماثيل

الفصل السادس عشر

ما دار حـول التماثيـل



صاحت لوسي :

« يا له من مكان مدهش ! جميع هذه الحيوانات الصخرية ـ والبشر ايضا ! كأنه متحف · »

قالت سوزان :

« اش ، ان اصلان يقوم بعمل ما · »

كان يفعل حقا · قفز فوق الاسد الصخري ونفث فوقه · ثم دار من غير انتظار ، حول نفسه ـ مثل قط يطارد ذيله ـ ونفث على القزم الحجري ايضا ، الذي (كما تذكر) كان يقف على بعد بضعة اقدام من الاسد موليا له وظهره ز ثم انقض على حورية صخرية طويلة كانت واقفة وراء القزم ، وانعطف جانبا بسرعة ليعالج ارنبا صخريا على يمينه ، واندفع الى الامام نحو قنطورين · ومكن لوسي قالت في تلك اللحظة :

« اوه ، سوزان ! انظري ! انظري الى الاسد · » اظنك قد رأيت احدهم يرمي عود ثقاب مشتعل الى قصاصة صحيفة مكورة في موقد خامد · ولثانية واحدة لا يبدو ان شيئا قد حدث ، ثم اذا بك تلاحظ شعاعا من لهب يزحف على امتداد حافة الصحيفة · شيء من هـذا يحدث الان · فبعد ثانية من نفث اصلان عليه كان لا يزال كما هو · وبدأ بعدها خيط نور ذهبي يسرى في ظهره الرخامي الابيض ـ ثم انتشر ـ وبدا ان اللون أخذ يتأجج فيه مثلما يتأجج اللهب في قصاصة ورق ـ وبعدئذ بينما كانت مؤخرته لا تزال حجرا ، هز الاسـد لبدته فاذا بكل الطيات المتحجرة الثقيلة تغدو شعرا مفعما بالحياة · ثم فتح فما احمر كبيرا ، دافئا وحيويا ، وتثاءب · ودبت الحياة الان في قائمتيه الخلفيتين ورفع احدها وحك جسده بها · واذ وقع نظره على أصلان ، أخذ يقفز وراءه ويدور حوله بمرح شديد ويثب عاليـا ليعلق وجهه ·

راحت نظرات الطفلتين تلاحقان الاسد بالطبع ، ولكن المشهد الرائع الذي شاهدتاه سرعان ما نساهما امره · لقد بدأت الحياة تدب من جديد في التماثيل المنتشرة هنا وهناك · ولم يدم بقاء الفناء كمتحف طويلا ، اذ انه الان اصبح شبيها بحديقة حيوان · وركضت الحيوانات وراء اصلان ورقصت حوله فكاد ان يضيع في الحشد · وغدا الفناء يتألق الان بالالوان بدلا من كل ذلك البياض الدال على الموت ، جلود القناطير الكستنائية اللامعة ، وكراكد بقرون زرق ، وطيور بريش باهر ، وثعالب ضاربة الوانها الى حمرة قانية ، كلاب وساطيرات ، وجوارب صفر · وقلانس اقزام قرمزية ، وحوريات

سرو بكساء فضي وحوريات سنديان بخضرة شفافة زاهية وحوريات صنوبر بلون اخضر زاه حتى ليكاد يلمع . وحل محل الصمت المخيم ضجيج اصوات مختلفة من زئير ونهيق وشدو ونباح وزقزقة وهديل وصهيل ووقع حوافر وصراخ وصيحات فرح وضحك وغناء قالت سوزان بنبرة صوت مختلفة :

« اوه ! انظري ! ترى ـ اقصد ، هل هذا امين ؟ » .

نظرت لوسي ، فرأت ان أصلان قد نفخ من توه على قدمي العملاق الصخري .

صاح أصلان جذلا :

« هذا حسن ! فما ان تدب الحياة في القدمين حتى تسري الى بقية اجزاء الجسم تباعا . »

همست سوزان للوسي :

« ليس هذا ما قصدته تماما » .

ولكن فات الاوان لفعل اي شيء بشأنه الان حتى لو كان اصلان أصغى اليها . فقد كان التغيير يزحف بسرعة الى ساقي العملاق . وبدأ الان يحرك قدميه . وبعد دقيقة رفع الهراوة عن كتفه وفرك عينيه وقال :

« يا الهي ! لابد أني كنت نائما . والان ! أين تلك الساحرة الصغيرة الملعونة التي كانت تتقافز هنا وهناك من حولي . كانت هنا عندي . »

ولكن عندما نادى عليه الكل وطلبوا منه ان يوضح لهم ماحدث بالضبط ، وعندما وضع العملاق يده الى أذنه وسألهم ان يعيدوا ما قالوه وفهم قولهم اخيرا ، انحنى بشدة حتى كاد رأسه ان يعلو على كوم قش ولمس قلنسوته تحية لاصلان مرارا ، وقد اشرق وجهه الطيب القبيح المنظر بابتسامة (ايما كان نوع العمالقة فهم نادرون في انكلترا الان وقلة منهم لها مزاج طيب واراهنكم بنسبة واحد الى عشرة ان أيا منكم لم يشاهد عملاقا يشرق وجهه بابتسامة . انه مشهد جدير بالمشاهدة .)

قال اصلان :

« أما ما يتعلق الان بما هو في داخل هذا البيت ، فابحثوا عن كل حي . فوق السلالم وتحتها وفي مخدع السيدة ! ولا تتركوا ركنا

من دون تفتيش . فانتم لا تعرفون ابدا أين يمكن ان تكون اخفت بعض السجناء المساكين . »

واندفع الجميع الى الداخل وترددت في القصر العتيق المتعفن الذي يلفه الظلام والرعب اصوات فتح النوافذ واصداء الاصوات التي تصيح ،

« لا تنسوا الزنزانات ـ ساعدونا على فتح هذا الباب ! هاهنا سلم حلزوني اخر ـ اوه ! انظروا . هاهنا كنغر مسكين . نادوا على اصلان ـ اللعنة ! يا لها من رائحة هنا ـ احذروا الابواب المفخخة ـ هنا ! هناك عدد كبير منها فوق ! »

لكن افضل الكل هو عندما اندفعت لوسي صاعدة الى الدور العلوي وهي تصرخ :

« اصلان ! أصلان ! لقد عثرت على السيد تيمنس . اوه ، تعال بسرعة . »

وما هي الا لحظة حتى كانت ايادي لوسي والفون الصغير تتشابك معا ويروحان يرقصان هنا وهناك بفرح غامر . كان حال الرجل الصغير يرثى له نتيجة تحوله الى تمثال وكان مسرورا بالطبع بكل شيء اخبرته به .

و واخيرا انتهى تفتيش حصن الساحرة . واصبح القصر خاويا وكل باب فيه ونافذة قد فتح وعم الضوء وهواء الربيع المنعش كل ركن مظلم وبغيض هو في أشد الحاجة الى النور والهواء . واندفع كل حشد النصب المحررة بقوة الى الفناء . حيث كان احدهم « واظنه تيمنس » اول من تحدث ، قال :

« ولكن كيف سنخرج من هنا ؟ »

اذ ان أصلان قد دخل بوثبة والابواب ما تزال مغلقة .

قال اصلان :

« سيتون كل شيء على مايرام . »

وبعدئذ ، وقف على قائمتيه الخلفيتين ، ونادى على العملاق :

« هيه ! انت الواقف هناك . »

وزئر :

« ما اسمك ؟ »

قال العملاق :

« انا العملاق رمبلبوفن يا صاحب السعادة » ولمس قلنسوته بالتحية مرة اخرى ·

قال اصلان :

« حسن اذن ، يا عملاق ممبلبوفن ، اخرجنا من هنـــا ، اذا سمحت ؟ »

قال عملاق رمبلبوفن :

« بالتأكيد ، يا صاحب السعادة · وسيكون هذا من دواعـي سروري ، ابتعدوا عن الابواب ، كلكم أيها الصغار »

ثم خطا نحو الباب وانهال عليها بهراوته الضخمة ــ طاق ــ طاق ــ طاق · فصرت الابواب في الضربة الاولى ، وتصدعت فـي الثانية وتأرجحت في الثالثة · ثم عالج البرجين من طرفيهما وبعـد دقائق معدودة من تحطيم البرجين وسقوطهما انهار الجدار من على الجانبين وتناثرت كومة كبيرة من الانقاض ، وعندما انزاح الغبار كان غريبا وانت واقف وسط خراب ذلك الفناء الحجري القبيـــح ان ترى من خلال الثغرة كل العشب والشجر المقابل وجداول الغابة المتدفقة والتلال الزرق خلفها ومن وراء ذلك السماء ·

قال العملاق نافثا مثل قاطرة ضخمة :

« علي اللعنة ان لم آكن اسبح بالعرق العفن · لا اظنكمـــا ، ايتها السيدتان الصغيران تحملان شيئا من منديل جيب ؟ »

شبت لوسي على اطراف اصابعهـــا ملوحـــة بمنديلها للاعلى قدر تستطيع وقالت :

« بلى لدي واحد · »

انحنى عملاق رمبلبوفن باحترام وقال :

« شكرا لك ، أيتها الانسة · »

وفي اللحظة التالية دب خوف فيها اذ وجدت نفسهـــا معلقـة في الهواء بين سبابة العملاق وابهامه · ولكن ما ان اصبحت قريبة من وجهه حتى انتبه فجاة فأعادها الى الارض بهدوء متمتما :

« رحماك يا الهي ! لقد رفعت البنت الصغيرة سهوا · ارجوك ان تسامحيني يا انستي ، حسبتك المنديل ! »

قالت لوسي ضاحكة :

« لا ، لا ، ها هو المنديل ! »

تمكن ان يأخذه هذه المرة الا ان حجمه بالنسبة له كحجم قطعة السكر بالنسبة لك ، وعندما رأته يمسح وجهه الاحمر الكبير بـه ، قالت :

« اخشى ان لا يكون ذا نفع لك ، ياسيد رمبلبوفن · »

قال العملاق بأدب :

« ابدا ، ابدا · انا لم اصادف منديلا يضاهيه جمالا · جميلا جدا ، وملائما جدا · الى حد ــ لا أعرف كيف اصفه · »

قالت لوسي للسيد تيمنس :

« يا له من عملاق لطيف ! » و

اجاب الفون :

« اوه ، أجل · كل البوفنات هكذا دائما · وهم من اكثــر عائلات العمالقة مكانة واحتراما في نارنيا · ربما ليسوا اذكياء جدا (انا لم ار قط عملاقا ذكيا) ، ولكنهم عائلة عريقة ، لها تقاليدهـــا كما تعلمين · لو كان من عائلة وضيعة لما فكرت بأن تحوله الـــى حجر · »

عند هذا الحد صفق اصلان بكفيه داعيا الى الصمت وقال :

« عملنا لهذا اليوم لم ينته بعد · واذا كان مقدرا للساحـــرة ان تهزم قبل حلول الظلام فعلينا ان نمضي الى المعركة في الحال · »

واضاف اضخم القناطير :

« آمل ، المشاركة فيها ، ياسيدي ! »

قال اصلان :

« بالطبع ، والان ! ان اولئك الذين لا يستطيعون تحمـــل مشقة السير ــ اعني ، الاطفال ، والاقزام ، والحيوانات الصغيرة ــ عليهم ان يركبوا فوق ظهر القادرين ــ واعنى بهـم ، الاســـود ، والقناطير واحاديي القرون ، والخيول ، والعمالقة والنسور · والذين يتمتعون بحاسة شم جيدة عليهم ان يتقدمونا نحن الاسود ليتشمموا لنا مكان ساحة المعركة · اورنا همتكم ·· هيا توزعوا ·

وشرعوا يعملون بقدر كبير من النشاط والابتهاج وكـــان اكثرهم فرحا هو الاسد الاخر الذي انطلق يركض في كـل اتجـــاه متظاهرا انه مشغول جدا وان كان في حقيقة الامر يريد ان يقول لكل من يقابله :

« اسمعت ما قاله ؟ نحن الاسود · وهذا يعني هو وانا ، نحن الاسدين · هذا ما يعجبني في أصلان · عدم التحيز ·· عدم انكار حق الاخرين · نحن الاسدين · هذا يعني هو وانا · »

استمر يردد هذه الكلمات الى ان حمله اصلان بثلاثة اقزام ، وحورية غابة ، وارنبين ، وقنفذا · فهدأ بعض الشيء ·

وعندما تهيأوا جميعهم (كان كلب رعاة ضخم هو الذي ساعد اصلان فعلا في فرزهم ووضعهم في الترتيب الملائم) شرعوا بالخروج من خلال الثغرة في جدار القلعة · بدأ الاسود والكلاب يتشممون في كل اتجاه · ثم اذا بكلب طراد ضخم يلتقط رائحة الاثر ينبح · ولم يعد هناك وقت للهدر · وسرعان ما انطلقت الكلاب والاسود والذئاب وبقية حيوانات الصيد باقصى سرعتها وانوفها تشم رائحة الارض ، والبقية الباقية اندفعت بسلسلة متصلة وراءهم يفصل بينها مسافة تقدر بنصف ميل تقريبا ، وهي تقتفي اثرهم بالسرعة التي تقدر عليها · كانت الضوضاء شبيه بضوضاء مطاردة ثعلب انكليزي بل افضل منها لانه بين الحين والاخر كانت موسيقى كلاب الصيد تختلط بزئير الاسد الاخر احيانا وبزئير اصلان نفسه المجلجل المخيف جدا احيانا اخرى · واخذت سرعتهم بالازدياد لان الإثر اصبح أيسر وأسهل على الاقتفاء · ثم ما ان وصلوا الى المنعطف الاخير ، في واد ملتو ضيق ، سمعت لوسي ضجة اخرى ــ ضجة مختلفة ، فشعرت بخوف · كانت ضجة صراخ وزعيق وقعقعة معدن بمعدن ·

بعدها اصبحوا خارج الوادي الضيق فعرفت السبب في الحال · هناك وقف بيتر وادموند وجميع من بقي من جيش اصلان يقاتلون ببسالة حشد مخلوقات مخيفة كانت قد رأتها في الليلة السابقة ، والان فقط ، في ضوء النهار ، كان منظرهم غريبا وشريرا جدا وممسوخا جدا · وكان يبدو ايضا على مبعدة مزيد منهم · وكان جيش بيتر ــ الذي رأته من الخلف ــ مجرد حفنة من المقاتلين · وكانت هناك تماثيل متناثرة في ساحة المعركة ، وكان واضحا ان الساحرة قد استخدمت صولجانها · الا أن الدلائل لا تشير الى انها ما زالت تستخدمه · فقد كانت تقاتل بسكينها الصخرية · وكان بيتر هو ألذي تشتبك معه في القتال ــ وكان كلاهما يتصارعان

كرا وفرا ويلتحمان حتى ان لوسي وجدت صعوبة في متابعة مجرى الصراع ، كان كل الذي استطاعت رؤيته هو السكين الصخرية وسيف بيتر فقط يومضان حتى ليبدوان كأنهما ثلاث سكاكين وثلاثة سيوف · كان الخصمان في الوسط · وعلى الجانبين امتد خط القتال · وكانت اشياء مخيفة تدور اينما اتجهت بنظرها ·

صاح اصلان :

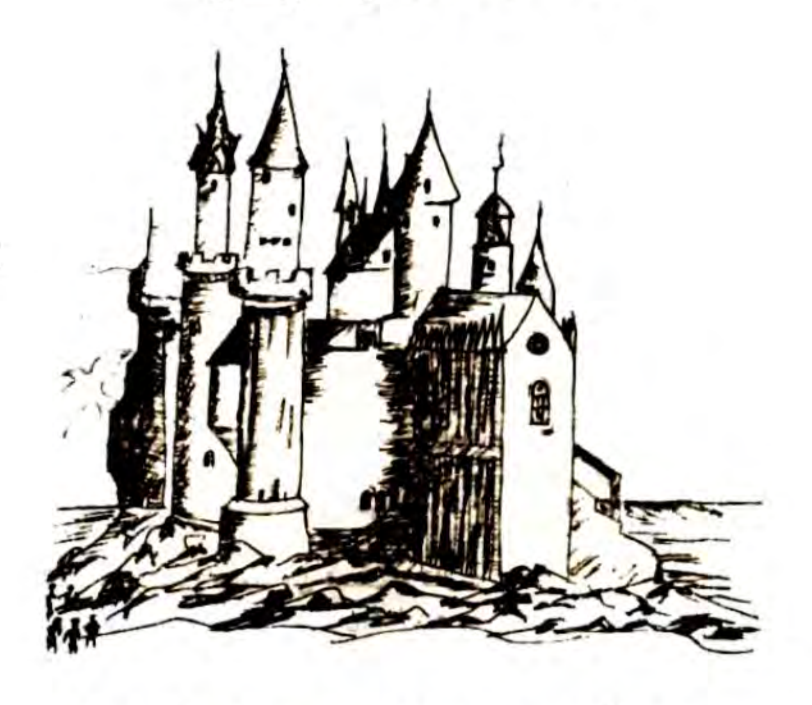
« هيا انزلا عن ظهري يا طفلتي · »

ونزلتا كلتاهما · ثم زئر الوحش الهائل زئيرا هز نارينا كلها من عمود النور الغربي حتى شواطىء البحر الشرقي ورمى بنفسه على الساحرة البيضاء · ورأت لوسي وجهها يلتفت اليه لثانية وعليه تعبير رعب ودهشة ·

تصارع الاسد والساحرة معا وكانت الساحرة تحته ، وفي اللحظة نفسها كانت جميع المخلوقات المحاربة التي قادها اصلان من بيت الساحرة تندفع اندفاعا جنونيا نحو صفوف العدو ، والاقزام بفؤوسهم الحربية ، والكلاب بأسنانها ، والعملاق بهراوته (ساحقا عشرات من الاعداء بقدميه ايضا) ، والكراكد بقرونها ، والقناطير بسيوفها وحوافرها · فاستقبلهم مقاتلو بيتر بالهتاف ، وكان القادمون الجدد يزأرون ، والاعداء يصرخون صراخا حادا قويا ويدمدمون حتى رددت الغابة صدى ضجيج ما يدور في الساحة ·

الفصل السابع عشر

اصطياد الأيل الأبيض



بعد دقائق معدودة من وصولهم انتهت المعركة . وقد قتل معظم الاعداء في المواجهة الاولى مع أصلان ورفاقه ، اما الذين بقوا على قيد الحياة فانهم عندما رأوا ان الساحرة قد ماتت استسلم بعضهم وفر الباقون . والشيء التالي الذي عرفته لوسي هو ان بيتر وأصلان كان يتصافحان . كان غريبا عليها ان ترى بيتر

بالمظهر الذى هو عليه الان ـ كان وجهه شاحباً جداً ومتجهماً جداً وبدا كأنه اصبح اكبر من ذي قبل بكثير .

كان بيتر يقول :

« كل هذا كان من صنع ادموند ، يا أصلان ، لولاه لكنّا هزمنا . لقد حوّلت الساحرة جنودنا الى صخر ذات اليمين وذات الشمال . ولم يكن يوقفه شيء . وشق طريقه من بين ثلاثة غيلان الى حيث كانت قد صيرت أحد فهودك تمثالا . وحينما وصل اليها احس عليه ان ينزل بسيفه بضربة ساحقة على عصاها السحرية بدلا من طعنها هي ولو كان فعل لتحول هو نفسه الى تمثال . فذلك هو الخطأ الذي ارتكبه الآخرون من قبل . وحالما كسر صولجانها لاحت لنا بارقة أمل ـ لو لم نكن خسرنا كثيراً حتى تلك اللحظة . لقد جُرح جرحاً بليغاً علينا ان نذهب لنراه . »

وعثروا على ادموند في رعاية السيدة القندسة وراء خطوط القتال بقليل .

كان مغطى بالدم وهو فاغر الفم ، وقد ضرب لون وجهه الى اخضرار مروع .

قال اصلان :

« اسرعي يا لوسي ! »

ومن ثم ، تذكرت لوسي في الحال شراب المودة المنعش الذى قُدم لها هدية في عيد الميلاد . كانت يداها ترتعشان بشدة حتى انها لم تكد تقدر على فتح السدادة ، لكنها في النهاية استطاعت فتحها وقطّرت بضع قطرات في فم اخيها .

وبينما كانت لاتزال تراقب بقلق وجه ادموند الشاحب وهي تتساءل ان كان للشراب اي مفعول ، قال اصلان :

« هناك جرحى آخرون . »

قالت لوسي باستياء :

« اجل ، اعرف ، امهلني دقيقة . »

قال اصلان بصوت وقور حزين :

« يا ابنة حواء . هناك اخرون يشرفون على الموت ايضاً . أيجب ان يموت كثيرون لاجل ادموند ؟ »

نهضت لوسي وقالت :

« أنا اسفة يا اصلان . »

ثم مضت معه · وانهمكا بالعمل خلال نصف الساعة التالية ـ كانت تضمد جراح الجرحى بينما كان هو يعيد الذين حولوا الى حجر الى ما كانوا عليه · وعندما صار بمستطاعها اخيراً العودة الى ادموند وجدته يقف على قدميه ولم يكن قد شفي من جراحه فقط بل بدا منظره افضل مما سبق لها ان رأته فيه ـ اوه ، منذ دهور ·· في الحقيقة ، منذ صفه الاول في تلك المدرسة المخيفة حيث بدا سلوكه يسوء وها هو الان يعود الى سابق عهده الحقيقي صريحاً شجاعاً · وفي ساحة المعركة منحه اصلان لقب فارس · همست لوسي لسوزان :

« أيعرف ، ما فعل اصلان له ؟ أيعرف ما هي حقيقة الاتفاق مع الساحرة ؟ »

قالت سوزان :

« اش ! لا ، بالطبع لا · »

قالت لوسي :

« اليس من الواجب اخباره ؟ »

قالت سوزان :

« اوه ، لا بالتاكيد ، سيكون ذلك مؤذياً جداً له · فكري كيف سيكون شعورك لو كنت انت في مكانه · »

قالت لوسي :

« مهما يكن السبب فاعتقد بأنه يجب ان يعرف · »

ولكن قطع عليهما الحديث في تلك اللحظة · نامتا في تلك الليلة حيثما كانتا · أمّا كيف وفر اصلان الطعام لهم جميعاً فلا ادري · ولكنهم بطريقة او باخرى وجدوا انفسهم في الساعة الثامنة تقريباً يجلسون على العشب لتناول شاي ساخن زكي النكهة · وشرعوا في اليوم التالي بالزحف شرقاً منحدرين بمحاذاة ضفة النهر الكبير · ليبلغوا المصب ، في اليوم التالي ، مع موعد تناول الشاي ·

وكان قصر كير باراقل ينتصب شامخاً فوق التل الصغير · وكانت تمتد امامهم ، رمال تتخللها صخور وبرك صغيرة ذات مياه مالحة وطحالب بحرية ، ورائحة البحر النفاذة ، واميال طويلة في الامواج الخضر الضاربة الى الزرقة وهي تتكسر على الساحل أبداً ·

و ··· اه ، صراخ النوارس ! أسبق لك ان سمعتها ؟ اتستطيع تذكرها ؟

بعد تناول الشاي في ذلك المساء نزل الاطفال الاربعة الى الشاطىء من جديد وخلعوا احذيتهم وجواربهم وتحسّسوا الرمل باصابع اقدامهم · ولكن اليوم الذى تلاه كان يوماً أشد رصانة · انذاك ، في قاعة كير باراقل الكبرى ـ تلك القاعة الرائعة بسقفها العاجي والحائط الغربي المزين بريش الطاووس والباب الشرقي المواجه للبحر ، وبحضور اصدقائهم جميعاً وعلى اصوات الابواق توّجهم اصلان باحتفال مهيب وقادهم الى عروشهم وسط هتافات تصم الاذان :

« عاش الملك بيتر ! عاشت الملكة سوزان ! عاش الملك ادموند ! عاشت الملكة لوسي ! »

وقال اصلان :

« سواء ملك او ملكة في نارينا ، ملك او ملكة دائماً · فحافظا عليها وتحملاً مسؤولياتها يا ولدى ادم ! حافظا عليها وتحملا مسؤولياتها يا ابنتي حواء ! »

ووصلت الى الاسماع من خلال الباب الشرقي الذي كان مفتوحاً على مصراعيه ، اصوات غرانق الماء(١) وحوريات الماء وهم يسبحون بالقرب من الشاطىء ويغنون على شرف ملكيهما وملكتيهما الجدد ·

وهكذا اعتلى الاطفال وصولجاناتهم بايديهم ، فمنحوا مكافات ، والقاباً لجميع اصدقائهم ، الى الفون تيمنس ، والقنلسين والعملاق رمبلبوفن ، والفهود ، والقناطير الطيبة والاقزام الطيبين ، والى الاسد · واقيمت وليمة كبرى في قصر كير باراقل في تلك الليلة ، وكان رقص ومرح ، وذهب يبرق وشراب يسيل ، وجاءت موسيقى مخلوقات البحر ، اشد غرابة وعذوبة ونفاذاً الى القلب رداً على الموسيقى المنبعثة من داخل القصر ·

(١) غرانق الماء : مخلوق بحرى خرافي له جسد رجل وذيل سمكة

ولكن اصلان انسل بهدوء مبتعداً عن كل هذا المرح الصاخب. ولم يعلق الملكان ولا الملكتان بشيء حين لاحظوا غيابه . اذ ان القندس قد سبق وحذرهم ،

قـال :

« سيأتي ويذهب ، سترونه يوماً ويختفي عن الانظار يوماً آخر . وهو لايحب ان تحد حريته ـ وهناك في الواقع بلاد اخرى عليه ان يرعاها . وهذا امر طبيعي تماماً سيأتي الى هنا كثيراً . يجب عليكم فقط ان لا تضغطوا عليه . وانتم تعرفون انه محب للبرّية . فهو ليس مثل اسد اليف .

وكما ترون ، الان ، ان هذه القصة تكاد تقترب (ولكن ليس تماماً) من نهايتها . حكم هاذان الملكان وهاتان الملكتان نارينا حكماً عادلا وامتدت فترة حكمهم فترة طويلة وكانت هانئة سعيدة . في البدء انفقوا وقتاً طويلا في البحث عن بقايا جيش الساحرة البيضاء وسحقها . وظلّت الابناء تتردد مدة عن أمور شريرة تجري في الاقسام المجهولة من الغابة ـ اصطياد هنا وقتل هناك ، وشبح مستذئب في هذا الشهر وخبر عن جنية شريرة في الشهر التالي . ولكن هذه البذور الشريرة سحقت في النهاية . فشرّعوا قوانين جديدة وحافظوا على الامن والسلام وحرّموا قطع الاشجار المنتجة بدون سبب ، وأعفوا صغار الاقزام والساطيران من وجوب الذهاب الى المدرسة . وبوجه عام وضعوا حدا للمتطفلين والادعياء وشجعوا الناس الطيبين الذين يرغبون في عيش آمن تاركين غيرهم ينعمون بسلام وآمان . وردوا العمالقة الاشرار (وهم يختلفون تماماً عن عائلة العملاق رامبلبوفن) على اعقابهم في شمال نارينا حينما تجرأوا على عبور الحدود . وعقدوا صداقة وتحالفاً مع بلدان ما وراء البحر وتبادلوا الزيارات الرسمية . وتقدم بهم العمر ، هم انفسهم وتغيرت حالهم بمرور الزمن . فصار بيتر رجلا طويلا واسع اصدر حكيما ومحاربا شديد البأس ولقب بالملك بيتر العظيم الرائع . ونمت قامة سوزان طويلا واصبحت امرأة فاتنة ذات شعر اسود طويل يصل الى قدميها تقريباً حتى ان ملوك البلاد المجاورة بدأوا يرسلون الرسل طالبين يدها للزواج . وكانت تدعى (سوزان الرقيقة) .

واصبح ادموند اشد رزانة وهدوء من بيتر ، راجح العقل حكيما حتى لقّب (بالملك ادموند العادل) . أما مايتعلق بلوسي ، فقد كانت مرحة وشقراء دائماً ، وكان جميع امراء تلك المقاطعات يخطبون ودها لتصبح ملكتهم ، وكان شعبها يدعوها (الملكة لوسي الشجاعة) .

وهكذا عاشوا في فرح وهناءة كبيرين واذا كان لهم ان يتذكروا حياتهم في هذا العالم فانما كما يتذكر المرء حلما . وحدث في احدى السنين ان تيمنس (وهو فون كهل بدأ الان يترهل) جاء عن طريق النهر حاملا لهم اخباراً مفادها ان (الايّل الابيض) عاد الى الظهور في هذه البقاع ـ الايل الابيض الذى يحقق لك امنياتك اذا أمسكت به . وهكذا خرج الملكان والملكتان وبرفقتهم رجال حاشيتهم ومعهم الابواق وكلاب الصيد الى الغابات الغربية لمطاردة الايل الابيض . ولم يمض وقت طويل حتى شاهدوه ، فانطلق امامهم بسرعة كبيرة فوق اراضي وعرة ومنبسطة وغابات كثيفة ومروج الى أن تعبت خيول رجال الحاشية . أما أولئك الاربعة فقد واصلوا المطاردة . وشاهدوا الايّل يدخل في دغل لاتستطيع خيولهم ملاحقته فيه . عندئذ قال الملك بيتر (فهم الان يتحدثون بطريقة مختلفة بعدما مضى عليهم وقت طويل وهم ملوك وملكات) ، :

« ايّها الرفاق الطيبون ، لنترجل عن خيولنا ونلحق بهذا الحيوان في الدغل ، فانا لم أصطد طوال حياتي طريدة انبل منه . »

قال الاخرون :

« يا صاحب الجلالة فلنفعل هذا حتى لو كنّا اصطدنا من قبل . »

وترجلوا عن خيولهم وربطوها بالاشجار وتوجهوا نحو الغابة الكثيفة سيراً على الاقدام . وحالما دخلوها قالت الملكة سوزان :

« ايها الاصدقاء الطيبون ، هذه اعجوبة كبيرة ، يخيّل لي اني ارى شجرة من حديد . »

قال الملك ادموند :

« سيدتي ، اذا امعنت النظر فسترين انه عمود حديدي ، علّق سراج في أعلاه . »

قال الملك ادموند :

« اقسم بلبدة الاسد ، انها مكيدة غريبة ، أن يوضع سراج هنا حيث تلتف حوله الاشجار كثيفة وترتفع الى اعلى منه فـاذا اضيء فلا يعطي ضوء لانسان ! »

قالت الملكة لوسي :

« من المحتمل انه عندما نُصب هذا العمود وهذا السراج هنا كانت اشجار اصغر حجما قليلة العدد او لم تغرس قط . فهـذه الغابة حديثة العهد والعمود الحديدي عتيق . »

واستمروا يحدقون به . ثم قام الملك ادموند :

« انا لا اعرف كيف هو ، ولكن قنديل هذا العمود ينطبع في بالي على نحو غريب . يخيّل اليّ أني رايت مثيلا له من قبل ، كما لو انه في حلم . او في حلم داخل حلم . »

اجـاب الجميع :

« هذا ما نشعر به نحن ايضا ، يا صاحب الجلالة . »

قالت الملكة لوسي :

« وأكثر من هذا يخامرني شعور بأننا اذا اجتزنا هذا العمود فسنواجه مغامرات غريبة او بعض تغيير في مصائرنا . »

قام الملك ادموند :

« ان نذير شؤم مماثل يضطرم في قلبي ايضاً . »

قال الملـك ادمونـد :

« وفي قلبي ، يا اخي العزيز . »

قالت الملكـة ســوزان :

« وفي قلبي انا ايضاً . ومن رأيـي ان نرجـع ببساطـة الى خيولنا ونكف عن مطاردة هذا الايل الابيض . »

قال الملـك بيتـر :

« في مسالة كهذه انا أتوسل اليك يا سيدتي ان تعذريني . فمنذ ان اصبحنا ملكين وملكيتين ونحن لانتخلّى عن أي أمـر ذي شان ، كالمعارك ، والحملات والبراعة في استعمال السلاح ، ونشر العدالة ، وما شابه ، ولكننا كنّا دائماً بمستوى المسؤولية .

قالت الملكة لوسي :

« يا اختي ، ان جلالة أخي يقول الحق . وارى انه حري بنا ان نخجل اذا كنّا نعود ادراجنا بسبب نذير شر او احساس بخوف

من مطاردة حيوان بهذا القدر من الجمال كهذا الذى نطارده الان . »

قال الملك ادموند :

« وأنا مع هذا الراى وتتملكني رغبة شديدة في اكتشاف مغزى هذا الشيء اذ انني لااريد ان ادير ظهر بمحضى ارادتي لاثمـن جوهرة في كل نارينا والجزر جميعها . »

قالت الملكة ســوزان :

« باسم اصلان اذن ، اذا كان هذا هو رأيكم كلكم ، فلنمض الى المغامرة التي تنتظرنا . »

وهكذا اقتحم الملكان والملكتان الدغل ، وقبل ان يذهبوا هنا وهناك تذكروا ان الشيء الذى رأوه يدعى عمود نور وقبـل ان يتقدموا عشرين خطوة اخرى ، لاحظوا انهم لا يشقون طريقهم من خلال الاغصان وانما من خلال معاطف . وما هي الا لحظة حتـى وجدوا انفسهم يقعون على الارض خارج باب خزانة الملابـس في الغرفة الخالية ، ولم يعودوا ملكين وملكتين ولا يرتدون ملابـس خاصة بالصيد ، بل بيتر وسوزان وادموند ولوسي بملابسهـم القديمة . كان اليوم نفسه والساعة نفسها التي دخلوا فيها خزانة الملابس للاختباء . وكانت السيدة مكيردي وزوارها يتحدثون في الممر ولكنهم لحسن الحظ لم يدخلوا الغرفة الخالية وهكذا لم ير الاطفال أحد .

كانت هذه ستكون نهاية القصة تماماً لو لم يكونوا يشعرون بأن من واجبهم ان يفسروا للبروفيسور سبب اختفاء اربعة معاطف من خزانة الملابس . ان البروفيسور ، وهو رجل بارع الذكاء ، لم يطلب منهم ان يكفوا عن سخافاتهم او رواية الاكاذيب بل صـدق القصة كلها .

قـال :

« لا ، انا لا أرى أيّة فائدة من محاولة العودة من خلال باب خزانة الملابس لاستعادة المعاطف . فلن تعودوا الى نارينا مرة اخرى عن ذلك الطريق . ولن تكون المعاطف ذات فائدة لو استطعـتم ! اليس كذلك ؟ ما هذا ؟ أجل ، بالتأكيد ستعودون الى نارينا مـن جديد يوما ما . فمن يكون ملكـا في نارينا ، يغدو ملكـا فـي نارينا ابداً . ولكن لا تحاولوا سلـوك الطريـق نفسه مرتـين . بـل

« لا تحاولوا » حقا الذهاب الى هناك ابدا · سيتحقق لكم ذلك عندما لاتسعون اليها · ولا تتحدثوا بشأنها كثيراً حتى مع انفسكم· ولا تذكروها لاي كان الآ اذا وجدتم أنه نفسه خاض مغامرات من النوع نفسه · ماذا ؟ كيف تعرفون ؟ اوه ، ستعرفون كما ينبغي · يقال انّ الاشياء الغريبة ـ حتى الملامح ـ تفضح الاسرار · ابقوا عيونكم مفتوحة · رحماك يارب ! ماذا يعلمونهم في هذه المدارس ؟

تلك هي خاتمة مغامرات خزانة الملابس · واذا كان البروفيسور مصيباً فانها بداية المغامرات في نارينا ·

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق
(٣٤١) لسنة ١٩٩١م

دار الحرية للطباعة ـ بغداد
١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م



دار ثقافة الأطفال
قسم النشر
سلسلة مكتبتنا

الى لوسي بارفيلد

عزيزتي لوسي

هذه القصة كتبتها لك، لكن عندما بدأت كتابتها لم أكن ادرك ان البنات يكبرن اسرع من الكتب. فأنت الان أكبر من أن تقرئي حكايات الجنيات، وستكونين اكبر حينما تطبع. وعندئذ ستتناولينها من فوق رف علوي وتنفضين عنها الغبار، وتقولين لي رأيك بها غير أن سمعي، لاريب، سيضعف وسأهرم ويتعذر عليّ فهم اية كلمة تتفوهين بها، ومع هذا...
فسأبقى أنا

جدك المحب
سي. اس. لويس

السعر: ١٫٢٥٠ دينار

